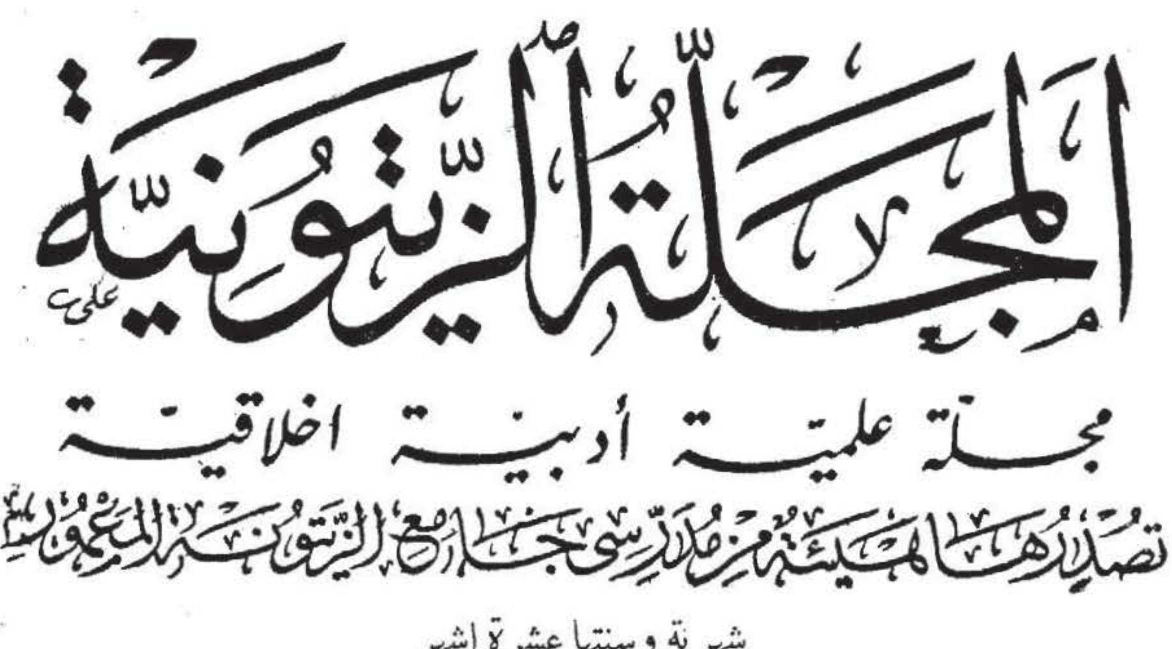


شهرية وسنتها عشرة اشهر

الجزء ٧ و ٨	تونس - جمادي ١ و ٢ - ١٣٥٨ - جويلية - اوت ١٩٣٩	المجلد الثالث

رئيس قلم التحرير :

محمد المختار بن محمود

المفتي الحنفي

بالديار التونسية

صاحب المجلة والمدير :

محمد الشاذلي ابن القاضي

المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة

والخطيب الثاني بجامع حمودة باشا

المراسلات :

ترد باسم مدير المجلة بمحل الادارة

الادارة :

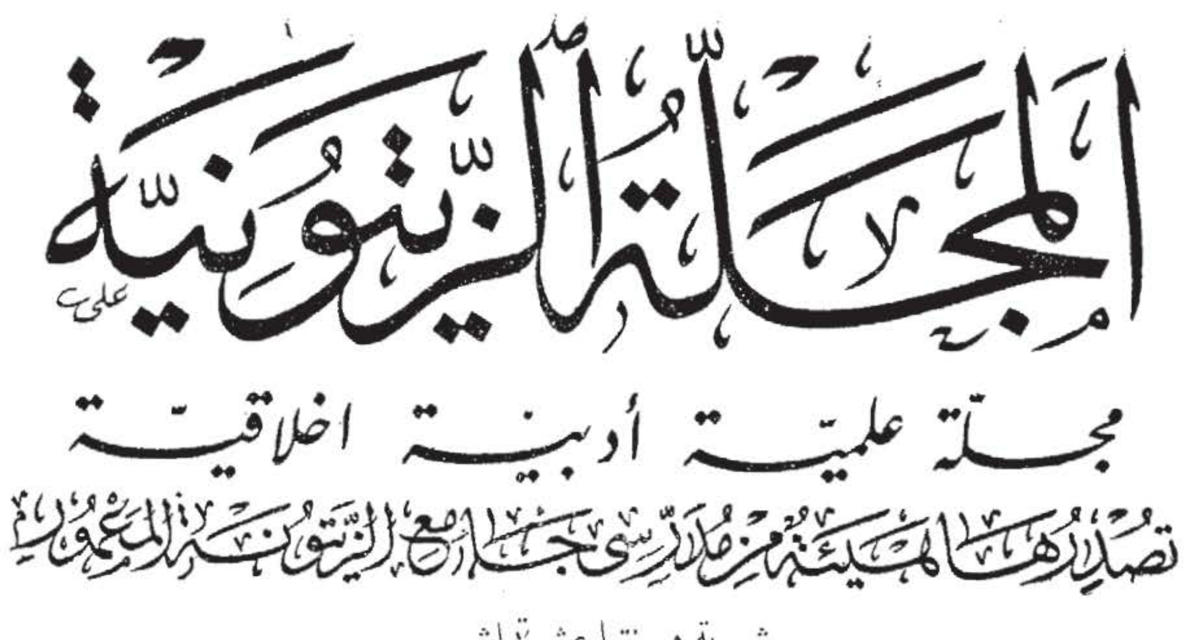
نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٤٩-٢٦

حساب جاري بادارة البريد رقم ٣٤٢٢

ثمن العدد ٣ فرنكات

المطبعة التونسية نهج سوق البلاط عدد ٥٧

فهرس العدد



شهرية وسنتها عشرة اشهر

الجزء ٧ و ٨ | تونس ـ جمادي ١ و ٢ ـ ١٣٥٨ ـ جويلية ـ اوت ١٩٣٩ | المجلد الثالث

رئيس قلم التحرير :

محمد المختار بن محمود

المفتي الحنفي

بالديار التونسية

صاحب المجلة والمدير :

محمد الشاذلي ابن القاضي

المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة

والخطيب الثاني بجامع حمودة باشا

المراسلات :

ترد باسم مدير المجلة بمحل الادارة

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس ـ تليفون ٤٩ـ٢٦

حساب جاري بادارة البريد رقم ٣٤٢٢

ثمن العدد ٣ فرنكات

المطبعة التونسية نهج سوق البلاط عدد ٥٧

بسم الله الرحمن الرحيم

في جامع الزيتونة

الاحتفال السنوي العظيم

بانتهاء العام الدراسي بالكلية الزيتونية العامرة

احتفل يوم السبت في جمادي الاولى ١٣٥٨ وفي ١٠ جويلية ١٩٣٩ بختم الامتحانات بجامع الزيتونة ادام الله عمرانه وقد كان احتفالا بهيجا حضره رجال الدولة الاعلام يتقدمهم الهمام الافخم امير الامراء المولى الوزير الاكبر سيدي الهادي الاخوة نائبا عن صاحب الكرسي الحسيني الملك المعظم مولانا احمد باشا باي الثاني ادام الله اجلاله وحضره ايضا اعضاء مجلس الاصلاح بالجامع والشيخان المفتيان سيدي محمد العنابي وسيدي محمد المختار بن محمود والشيخان النائبان لشيخ الجامع سيدي عبد العزيز النيفر وسيدي الشاذلي الجزيري والاساتذة بالمعهد والمشائخ المدرسون من الطبقات الثلاث والمتطوعون بالتعليم وتلامذة المعهد ونخبة من سراة الامة يتوسط الجميع فضيلة الاستاذ الاكبر مولانا شيخ الجامع وفروعه الشيخ سيدي صالح المالقي وبعد قدوم المولى الوزير الاكبر ومن حضر بمعيته من رجال الدولة وتبادل التحيات تلا الشيخ علي بن سالم ربعا من القرآن العظيم وبانتهائه من التلاوة خطب صاحب الفضيلة شيخ الجامع ثم نودي على اسماء من فاز في حلبة الامتحانات ووزعت المكارم على المبرزين منهم وختم الاحتفال بتلاوة أم الكتاب وانتثر عقد المجالس والكل يدعو بدوام عمران جامع الزيتونة بشيوخه الجلة وتلامذته الذين عليهم المعول في حفظ الملة مكبرين همة فضيلة شيخ الجامع وما يسديه للمعهد من عظيم العناية والسير به في مدارج الرقي المستمر كلل الله اعمال الجميع بالتوفيق والنجاح حتى نرى الكلية الزيتونية على الدوام من ارقى الكليات العلمية انه سميع مجيب

خطاب الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الاعظم

حمد الله تعالى أجل مهم يقصد واشرف غاية، وأهم أمر يعتمد بدءا ونهاية، وصلاته وسلامه على أشرف مرشد وأفضل معلم، المعرب في غير ما حديث عن فضيلتي العلم والتعلم، وعلى ءاله وأصحابه، المهتدين بهديه والمتادبين بآدابه. وعلى تابعيهم من سائر علماء الامة المرشدين، وتابعيهم في ذلك الى يوم الدين

وبعد فان السنة الدراسية للجامع الاعظم ادام الله عمرانه، وشيد بمعالم العلم اركانه، آذنت اليوم كعادتها في مثله بالانصرام، يتضوع من ارجائها مسك الختام، حافظة لما قد حواه تاريخها للمعهد من

مجاسن احاسن ، وما ارتوى به وراده من ماء غير ءاسن ، وما اهدته حلق التعليم له من ثمار يانعة ، ومجالس لمختلف العلوم جامعة ، قطوفها لمجتنيها دانية ، وخرائدها لمجتليها متدانية ، اقتطف المجدون من ثمراتها كل حسب جده واستعداده . واخفق الراسبون فيها وانى يظفر مقصر بمراده ، وجوزي بها من تنكب الجادة الى بنيات الطريق . التي لا يسلم سالكها من اقتحام عقبة او تردٍ في مضيق ، ليعلم الكل ان من جد وجد ، ومن توانى فقد ، ومن زرع حصد

احتفل اليوم في هذا المجلس الحافل الحاشد بعلية القوم وسراة الامة من وزراء فخام وعلماء اعلام واساتذة جلة وشيوخ كرام وذوي خيثيات من رجال الحكومة وشخصيات بارزة من سائر الطبقات حفظ الله جميعهم تزينه طلعة صدر الصدور ومن اليه المرجع في مهمات الامور الهمام الافخم والعماد المفخم امير الامراء وتاج اكاليل الوزراء المولى الوزير الاكبر ممثل الحضرة العلية والسدة الملوكية ومن له في اعتزاز الجانب العلمي اعلى مزيه حضرة ولي النعم وكريم الشيم ومفخرة العصور والامم المحفوف حماه بسر السبع المثاني سيدنا ومولانا احمد باشا باي الثاني صاحب المملكة التونسية لا زالت طلعته مزدهرة وايامه رائقة هنية عملا بما جاء في الفصل السادس والثلاثين بعد المائتين من ظهيره المطاع اهتماما منه ايده الله بالهيئة العلمية وتنشيطا لها بايفاد من ينوب جنابه العالي في احتفالها الرسمي وذلك لعرض حالة التعليم وما انتجه المعهد في بحر السنة الدراسية من ترقيات علمية وما قد احرز عليه المبرزون في شهاداته بسائر انواعها مما سنتعرض له فيما بعد بهذا المجلس مع ذكر اسماء اولئك المبرزين والجوائز المحظى بها من فاق منهم في حلبة الامتحان اظهارا لمزيتهم واستنهاضا لعزيمة من لم يلتحق بهم من اخوانهم الذين شاركوهم في مهمتهم من كل من كبا به في ميدان الامتحان جواده ولم يسعفه فيه حظه واسعاده راجين لجميعهم بما لنا من العطف الابوي نجاحا متداركا يجبر ما مضى كمن فاتته الحاضرة فتداركها بالقضا بما سيبذلونه من جدّ في العمل يبلغ به صاحبه غاية السؤل والامل والله الموفق سبحانه لا اله غيره

كنا تعرضنا في مثل هذا اليوم من السنة الفارطة الى بعض واجبات التلميذ والخطة المثلى التي يجب عليه سلوكها الكافلة بنجاحه والحافظة له في مستقبله واسدينا لهم في ذلك نصائحنا الخالصة مستروحين بما نقلناه عن بديع الزمان الهمذاني فيما راسل به حفيده من تلك العبارات الذهبية التي حسن وقعها ساعتئذ ولم تزل عالقة باذهان مستمعيها الجلة

ونذكر اليوم بمزيد السرور اننا قد راينا ءاثار تلكم النصائح بادية باقبال تلامذة المعهد على دروسهم وعدم انخداعهم لمن رأم ان يكيد لهم ويستعملهم كآلة يتوصل بها لسخيف اغراضه فلم ترج عليهم خزعبلاته ولم يجد لدعايته الزائفة بينهم من سبيل بما اظهروه من الثبات وكامل الرصانة وتقديرهم لنصائح المشيخة قدرها التي جنوا اليوم ثمارها وحمدوا مغبتها وءاثارها (وعند الصبح يحمد القوم السرى) فكان المعهد بحمد الله في كامل السنة محل الهدو والطمانينة وباء دعاة السوء وهواة الشقاق بصفقة المغبون

التعليم بالمعهد وفروعه

جرى التعليم بالمعهد وفروعه على مقتضى البرنامج الذي هياته المشيخة قبل افتتاح السنة الدراسية فكانت الدروس يوم افتتاح المعهد والفروع منتظمة مكتضة بتلامذتها والمراقبة تجري عليهم من حيث الحضور والغيبة من طرف مشائخهم طبق التعليمات في ذلك من المشيخة مع افهام التلامذة بما اصدرته المشيخة في بلاغاتها واعلانات لهم به من ان سائر الترقيات العلمية واجراء الاختبارات والامتحانات عليهم اخر السنة والمنع من ذلك تبنى على مواظبة التلميذ واقباله على دروسه طبق الملاحظات المتلقاة من شيوخه في ذلك فكان لذلك التفقد اليومي اثره المقصود ووقعت الاجراءات على مقتضى ذلك واعلم اولياء التلامذة الذين لم يسمح لهم بالمشاركة في الامتحانات لتخلفاتهم التي نشا عنها عدم مزاولتهم لمقررات السنة الدراسية وكان قيام اساتذة المعهد والمشائخ المدرسين من سائر الطبقات والمشائخ المتطوعين في دور نيابتهم عن بعض مدرسي الطبقة الثالثة في التعليم الابتدائي في الفروع قياما محمودا كل فيما نيط بعهدته تستوجب مزيد الثناء لما قد بذلوه من جهود قيمة ومن اسداء نصائح لتلامذتهم ابنائهم الروحيين وتوخي الطرق المنتجة في اساليب التعليم شكر الله لهم وامد الجميع بالاعانة على ما فيه ترقية شان المعهد والصعود به في اوج الكمالات

الكتب التدرسية وطريقة اختيارها

الكتب التدريسية التي تبنى عليها موازنة الدروس وبرنامج التعليم المشار اليه ءانفا هي نتيجة مقررات لجنة علمية خبيرة تشكلها المشيخة برئاستها لها في كل سنة من بعض اساتذة المعهد ومدرسيه من سائر الطبقات لتعرض عليها الكتب الصالحة للدراسة وبعد درسها لها ولمقررات السنة قبلها تبدي رايها فيما ترى لزوم تحويره من ذلك او ابداله بغيره من التآليف سواء في ذلك المؤلفات الحديثة وغيرها مما هو اوفق بالتعليم وايصال التلامذة مع استنهاض المشيخة لذوي المقدرة من اهل العلم بامدادها بمؤلفات تجمع بين الافادة وسهولة التعبير لتدخلها في برنامج التعليم وقد وقع بعض ذلك فعلا وهو مما يزاول اليوم وبه يفند زعم من زعم ان الكتب التدريسية التي تسير دولاب الجامع الاعظم اليوم عديمة النفع غير صالحة للدراسة وانها من اسباب اخلال التعليم به وتغالى البعض في ذلك بما ادى به الى الحط من بعض علوم المعهد محاولا بذلك قلب هياته والخروج به عن صبغته وعما هو قائم به نحو الامة التي تفديه بالنفس والنفيس ولا تبغي به بديلا (والمعهد للامة لا لهؤلاء) .

تطرقت شرذمة قليلة تنتمي للمعهد وهي تكيد له تحت عنوان طلب اصلاحه زعمت ان التعليم بالمعهد والكتب التي تدرس به واساليب تدريسها وسائر تقاليده مما مضت عليه عدة قرون بما صيره عديم الجدوى ضئيل النفع غير ملائم للوقت الحاضر وللتطور الاممي وانتقدت التوسع في علومه والتوغل فيها الامر الذي لم يرق لها في نظرها طالبة مزاحمة علومه الاصلية التي هي به بالمنزلة الاولى في القصد من تفسير وحديث وعلومه وكلام وفقه واصول وحكمة تشريع وعلم الاخلاق وغيرها من بقية علوم الدين واصول الشريعة وعلوم العربية على اتساعها الحافظة على الامة لغتها وقوميتها والخادمة لعلومها الشرعية رائمة مزاحمة ذلك كله بما هو في نظرها اجدر نفعا واتم فائدة وذلك مما

يقضي على علوم المعهد الاصلية ويجعلها بمنزلة دون المنزلة المقصودة منها مصرحا ذلك البعض بان المعهد لم يدخله تجديد ليومنا هذا كما دخل لغيره فيروم اليوم تجديده بذلك وقد جهلت او تجاهلت هاته الفئة وظيفة المعهد ورسالته التي يقوم بها نحو الامة مما اسلفناه .

كما جهلت ان العلوم التي تدرس به اليوم تناهز الاربعين علما من بينها ما تمس الحاجة اليه من العلوم الرياضية ونحوها التي يعبرون عنها في اصطلاحهم الخاص بالعلوم العصرية وهو غلط منهم اذ لا ينسب للعصر الا ما استجد فيه وهاته العلوم نجدها قديمة العهد مزاولة منذ عصور وحظ المعهد منها غير منقوص حيث يزاول به منها ما لا بد منه مما لا يزاحم علومه الاصلية احتفاظا على اصل وضعيته حسبما اقتضاه الفصل ٢٠ من قانون الاصلاح .

اما الاصلاح المنشود اليوم للمعهد وادخال تحسينات على ما هو موجود به الآن فلا يعارض فيه احد اذ كل حسن قابل لزيادة التحسين (وفوق كل ذي علم عليم) .

وقد تكفلت الحكومة بذلك بتشكيلها للجنة من اهل العلم وذوي الثقافة خبيرة باصول التعليم وطرائقه ووسائل تعميمه وكل ما يعود بالنفع على المعهد من جميع جهاته وهي تواصل الآن عملها بجد وقد اشرفت ماموريتها على الاتمام مع محافظتها على صبغة المعهد الدينية وعلومه الاصلية وعدم الخروج به عما اسس له منذ القديم . وفوق الجميع نظر امير البلاد ايده الله بما له من الرئاسة الدينية والذي له القول الفصل في كل ما يرجع لمصلحة الامة وحفظ شريعتها المقدسة ومعهدها العلمي .

الامتحانات ونتائجها

اجريت امتحانات المعهد لدى اعضاء لجنة الاصلاح لكل من شهادات التحصيل في العلوم وفي القراءات والاهلية يعضدها في ذلك نخبة من مدرسي الطبقة الاولى وتخصصت اللجنة الاصلية بامتحانات شهادة العالمية في انواعها الثلاث الشرعي والادبي والقراءات كما تخصصت لجنة بالرياضيات من بينها بعض معلمي تلك العلوم وكانت مباشرة اولئك الشيوخ الجلة لمهمتهم الموما اليها محل الثناء بما اظهره جنابهم من كامل العناية ومزيد التمحيص واعطاء كل ما يستحقه مما يكون داعيا للاقبال على التعليم ويزرع في التلامذة نشاطا كما قامت نخبة من المشائخ المدرسين من سائر الطبقات وبعض اساتذة المعهد باختبارات التلامذة في سائر مراتب التعليم . تختص الاساتذة من ذلك بالتعليم العالي وقد اظهر الجميع في ذلك من الحزم والنشاط ما يوجب اسداء الشكر لهم وتقدير ما قد قاموا به من تلك المهمة

وكان عدد الذين شاركوا في امتحان شهادة العالمية في القسم الشرعي ١١ نجح منهم ٥ وفي الادبي اثنان وقع ارجاؤهما لدورة اكتوبر المقبلة وفي القراءات ٦ نجح منهم ٢ وفي شهادة التحصيل في العلوم ١٥١ نجح منهم ١٠٩ وفي القراءات ١٠ نجح منهم ٧ وفي شهادة الاهلية ٣٤٠ نجح منهم ٢٠٩ حسبما يقع التصريح الآن باسمائهم وما احرز عليه البعض منهم من الجوائز وفي الختام نوجه ثناءنا لسائر متوظفي المعهد وفروعه من مشائخ كتبه وقيمين ووكلاء كتب وحافظي المكتبات واعوان الادارة كل فيما قام به مما نيط بعهدته بحزم وامانة والله المسؤول ان يديم لهذا المعهد عمرانه ويشيد بمعالم العلم اركانه ـ ما تعاقبت في جوها غادية ورائحة وختمت المجالس العلمية بسورة الفاتحة .



في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا
ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون

من تفسير الاستاذ الامام المولى محمد
الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي

استيناف محض ويجوز أن يكون بيانا لجواب سؤال متعجب ناشيء من سماع الاحوال التي وصفوا بها قبل وهي ما في قوله تعالى « يخادعون الله والذين ءامنوا وما يخادعون الا انفسهم وما يشعرون » فان من يسمع ان طائفة تخادع الله تعالى وتخادع قوما عديدين وتطمع ان خداعها يتمشى عليهم ثم لا تشعر بأن ضرر الخداع لاحق بها يعلم انها طائفة جديرة بان يتعجب من أمرها المتعجب ويتساءل كيف خطر هذا بخواطرها ، فكان قوله في قلوبهم مرض بيانا للسبب وهو ان في عقولهم خللا تزايد إلى أن بلغ حدا لافن . ولهذا قدم الظرف وهو في قلوبهم للاهتمام لان القلوب هي محل الفكرة في الخداع فلما كان المسؤول عنه هو متعلقها واثرها كان هو المهتم به في الجواب .

والمرض حقيقة في العارض للمزاج الذي يخرجه عن حد الاعتدال الخاص بنوع ذلك الجسم خروجا غير تام وبمقدار الخروج يشتد الالم فان تم الخروج فهو الموت . وهو مجاز في الاعراض النفسانية العارضة للاخلاق البشرية عروضا يخرجها عن كمالها وإطلاق المرض على هذا شائع مشهور في كلام العرب ، وتدبير المزاج لازالة هذا العارض والرجوع به الى اعتداله طب حقيقي ومجازيّ كذلك قال علقمة :

فان تسالوني بالنساء فانني خبير بادواء النساء طبيب

فذكر الادواء والطب لفساد الاخلاق واصلاحها . والمراد بالمرض في هاته الآية هو معناه المجازي لا محالة لانه هو الذي اتصف به المنافقون وهو المقصود من مذمتهم وبيان منشأ مساوي اعمالهم .

ومعنى فزادهم الله مرضا ان تلك الاخلاق الذميمة الناشئة عن النفاق والملازمة له كانت تتزايد فيهم بتزايد الايام لان من شأن الاخلاق اذا تمكنت أن تتزايد بتزايد الايام حتى تصير ملكات كما قال :

ورج الفتى للخير ما ان رأيته على السن خيرا لايزال يزيد

وكذلك القول في الشر ولذلك قيل من لم يتحلم في الصغر لا يتحلم في الكبر ، وقال النابغة يهجو عامر بن الطفيل :

فانك سوف تحلم أو تناهى   اذا ما شبت أو شاب الغراب

وانما كان النفاق موجبا لازدياد ما يقارنه من سيء الاخلاق لان النفاق يستر الاخلاق الذميمة فتكون محجوبة عن الناصحين والمربين والمرشدين وبذلك تتأصل وتتوالد الى غير حد فالنفاق في كتمه مساوي الاخلاق بمنزلة كتم المريض داءه عن الطبيب وقد بينا ما ينشأ عن النفاق من الامراض في الجدول المذكور هنا واشرنا الى ما يشير الى كل خلق منها في الآيات الواردة هنا او في آيات اخرى واليكم هذا الجدول :



إعلم أن هذه طباع تنشأ عن النفاق أو تقارنه من حيث هو ولا سيما النفاق في الدين فقد نبهنا الله تعالى لمذام ذلك تعليما وتربية فان النفاق يعتمد على ثلاث خصال وهي الكذب القولي ، والكذب الفعلي وهو الخداع ، ويقارن ذلك الخوف لان الكذب والخداع انما يصدران ممن يتوقى اظهار حقيقة أمره وذلك لا يكون الا لخوف ضرر أو لخوف اخفاق سعي وكلاهما مؤذن بقلة الشجاعة والثبات والثقة بالنفس وبحسن السلوك . ثم إن كل خصلة من هاته الخصال الثلاث الذميمة تولد هنوات أخرى فالكذب ينشأ عن شيء من البله لان الكاذب يعتقد ان كذبه يتمشى عند الناس وهذا من قلة الذكاء لان النبيه يعلم

ان في الناس مثله وخيرا منه ثم البله يؤدي الى الجهل بالحقائق وبمراتب العقول ولان الكذب يعود فكر صاحبه بالحقائق المحرفة وتشتبه عليه مع طول الاسترسال في ذلك حتى انه ربما اعتقد ما اختلقه واقعا وينشأ عن الامرين السفه وهو خلل في الرأي وأفن في العقل وقدأصبح علماء الاخلاق والطب يعدون الكذب من أمراض الدماغ. واما نشأة العجب والغرور والكفر وفساد الرأي عن الغباوة والجهل والسفه فظاهرة . وكذلك نشأة العزلة والجبن والتستر عن الخوف، وأما نشأة عداوة الناس عن الخداع فلان عداوة الاضداد تبدأ من شعورهم بخداعه وتعقبها عداوة الاصحاب لانهم اذا رأوا تفنن ذلك الصاحب في النفاق والخداع داخلهم الشك أن يكون اخلاصه الذي يظهره لهم هو من المخادعة فاذا حصلت عداوة الفريقين تصدى الناس كلهم للتوقي منه والنكاية به وتصدى هو للمكر بهم والفساد ليصل الى مرامه فرمته الناس عن قوس واحد واجتنى من ذلك ان يصير هزؤا للناس اجمعين. وقد رأيتم أن الناشىء عن مرض النفاق والزائد فيه هو زيادة ذلك الناشىء أي تأصله وتمكنه وتولد مذمات أخرى عنه ولعل تنكير مرض في الموضعين أشعر بهذا فان تنكير الاول للاشارة الى تنويع أو تكثير وتنكير الثاني ليشير الى ان المزيد مرض آخر على قاعدة اعادة النكرة نكرة ولو اريد ازدياد المرض الاول لقيل فزادهم الله المرض واسندت زيادة مرضهم الى الله تعالى للتنبيه على خطر الاسترسال في النوايا الخبيثة وانه يزيد تلك النوايا تمكنا من القلب فيتعذر الاقلاع عنها فلما خلق الله هذا المعنى في النفوس حذر الناس من اسبابه فجملة فزادهم الله مرضا خبرية معطوفة على قوله في قلوبهم مرض واقعة موقع الاستيناف للبيان داخلة في دفع التعجب أي ان سبب توغلهم في الفساد ومحاولتهم ما لا ينال لان في قلوبهم مرضا ولانه مرض يتزايد مع الايام تزيداً مجعولا من الله تعلى فلا طمع في زواله وقول بعض المفسرين هي دعاء عليهم كقول الشاعر :

تباعد عني مسمع اذ دعوته ❀ امين فزاد الله ما بيننا بعدا

تفسير غير حسن لانه خلاف الاصل في العطف بالفاء ولان تصدي القرءان لشتمهم بذلك ليس من دأبه ولان الدعاء عليهم بالزيادة تنافي ما عهد من الدعاء للضالين بالهداية في نحو اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون

(وقوله ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون) معطوف على قوله فزادهم الله مرضا اكمالا للفائدة فكمل بهذا العطف بيان ما جره النفاق اليهم من فساد الحال في الدنيا والعذاب في الآخرة وليس معطوفا على (ومن الناس من يقول) لانه ان جعل عطفا على قوله من الناس لم يكن بينهما تناسب اذ قوله ومن الناس مبدأ تفصيل أحوال فريق ثالث كما قدمنا فلا يناسب ان يعطف عليه ما هو من أحوال ذلك الفريق وان جعل عطفا على الصلة وهي يقول لم يصح اذ ليس استحقاقهم العذاب بمعلوم حتى يتميز الموصول به ويكون من الاحوال المختصة به في علم المخاطب . وتقديم الجار والمجرور وهو لهم للتنبيه على انه خبر لا نعت حتى يستقر بمجرد سماع المبتدا العلم بان ذلك من صفاتهم فلا تلهو النفس عن تلقيه .



حقوق المسلمين على بعضهم

اخرج الامام مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌ ، إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْهُ ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللهُ فَشَمِّتْهُ ، وإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ ، وَإِذَا مَاتَ فَاتْبَعْهُ .

الشـرح

ان الله تعالى جعل الامة الاسلامية وسطا مثال الكمال ، عالية الخصال ، بها يقتدى ومنها تلتمس الفضيلة ، وحلاها بازكى الصفات ، وارشدها الى الاداب المرضية والحقوق المرعية فالرسول الاعظم ، والمرشد الاكرم ، صلى الله عليه وسلم ، قد علم المسلمين بما يجب عليهم من الحقوق وما يتحتم ان يتخلقوا به من كريم الخلال ، ويتأدبوا به من الآداب ، ليتم ما انتدبوا له ، من غير افراط ولا تفريط فاهتدى بهديه اصحابه الاعلام ، حتى كانوا مثال الفضائل ، واتخذهم الناس قدوتهم

والاليم فعيل بمعنى مفعول وأصله عذاب مؤلم بصيغة اسم المفعول ووصف العذاب به مجاز عقلي لان المؤلم بالفتح هو الذي مسه العذاب وليس هو نفس العذاب وهذا كما قالوا جد جده أو هو فعيل بمعنى فاعل من الم بمعنى صار ذا الم واما ان يكون فعيل بمعنى مفعل أي مولم بكسر اللام فمما لم يسمع في هذا الوصف وسمع في نظيره واختلف في جواز القياس عليه .

وقوله بما كانوا يكذبون الباء للسببية وقرىء يكذبون بتشديد الذال ويكذبون بتخفيفه فاما التشديد فعلى تكذيبهم الرسول واما التخفيف فعلى كذبهم الخاص في قولهم ءامنا بالله وعلى كذبهم العام في قولهم انما نحن مصلحون .

المثلى ومما اوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم واكد، وعلم اصحابه وارشد، حقوق الناس على بعضهم . فان امرها عظيم وبقدر ما يترتب على رعايتها من المحاسن وعلى تضييعها من المساوي يكون الجزاء .

والحقوق جمع حق والحق هو الامر الثابت الذي تلزم مراعاته والاهتمام به .

ثم الحقوق التي اوجبها الشرع على الناس لبعضهم وتلزم مراعاتها والاهتمام بها على نوعين خاصة وعامة

اما الحقوق الخاصة فلم يتعرض لها هذا الحديث لانه ليس مساقا لبيانها وهي ما تترتب على امر خاص بين اثنين او اكثر كحقوق الزوج على زوجته وحقوقها عليه وكحقوق الاب على ابنائه وحقوقهم عليه ونحو ذلك .

واما العامة فهي حقوق المسلمين على بعضهم لا فرق في ذلك بين الامير والحقير والنبيل والصعلوك وهذه هي التي عناها الحديث بالبيان ولم يذكر جميعها وانما اقتصر على ست منها حسبما دعته الحاجة لبيانه . فان التشريع كانت الطريقة المتبعة فيه ان يكون تدريجيا وبحسب ما تدعو الحاجة اليه وكذلك ارشاده صلى الله عليه وسلم ووعظه فهذا الامام البخاري يحدثنا في صحيحه عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة في الايام كراهة السآمة علينا . ولكل مقام ما يناسبه من الارشاد . فالنبي صلى الله عليه وسلم يتفقد احوال الناس وما هو الانسب لاوقاتهم فيلقي عليهم مواعظه الطيبة الاثر وينشر بينهم آداب الاسلام ومآثره الحميدة فمثابته في علاج اسقام الامة بمثابة الطبيب الماهر والحكيم الخبير يعطي من الدواء بالمقدار الملائم للمرض ويتمشى معه في طريق العلاج مترقيا في مقدار الدواء حتى لا يمل المريض ويكره الدواء فيصعب علاجه ويستفحل داؤه ويعز شفاؤه فلذلك نرى الرسول صلى الله عليه وسلم يذكر حقوق المسلم على المسلم ويعد منها في هذا الحديث ستة حقوق والعدد لا مفهوم له كما هو مقرر في الاصول المستنبطة من تتبع نصوص الشريعة واستقرائها فلا اشكال حينئذ ولا تعارض بين هذا الحديث وغيره مما تعرض لغير الست من الحقوق او المأمورات . فقد جاء في بعض الطرق بلفظ امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما جاء ايضا عدها سبعا . من ذلك الحديث الذي رواه البخاري وغيره من عدة طرق منها عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال امرنا النبي صلى الله عليه وسلم بسبع ونهانا عن سبع امرنا بعيادة المريض واتباع الجنازة وتشميت العاطس واجابة الداعي ورد السلام ونصر المظلوم وابرار المقسم . ونهانا عن سبع عن خاتم الذهب او قال حلقة الذهب (شك من الراوي) وعن لبس الحرير والديباج والسندس والمياثر .

واول الحقوق التي عدها الحديث الشريف (السلام) فقال صلى الله عليه وسلم مخاطبا من حضر مجلسه الشريف ـ وهو خطاب عام لكل من يصح منه التلقي ـ اذا لقيته (اي المسلم) فسلم عليه . اللقاء الاجتماع بعد الافتراق

والسلام هو الامان والسلامة من كل مكروه ظاهرا وباطنا . فقول المسلم لاخيه المسلم الذي تربطه واياه رابطة الدين والاخوة الاسلامية - واعظم بهما من رابطة - السلام عليك بمعنى أأمنك من كل مكروه وأعطيك الامان والسلامة من كل خطر وأتباعد بك عن الخيانة والغدر ونحو ذلك فهي تحية طيبة مباركة جاء بها الاسلام يحيي بها المسلم أخاه فتعبر عن معان سامية هداهم اليها دينهم الذي ارتضاه الله لهم وادبهم باشرف الآداب وأزكاها وتكون لهم نعم العون على احداث التعارف والتوادد وداعية للمحبة والالفة وطريقا الى الجنة قال صلى الله عليه وسلم : والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أفلا ادلكم على امر اذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم

والحديث جعل على المسلمين حق السلام عند الملاقاة ولم يخصص أحد المتلاقيين بالتحية فعلمنا من اطلاقه ان ذلك الخطاب موجه لهما وأفضلهما من بادر بها وحصل على مزية الاسبقية كما يدل لذلك قوله صلى الله عليه وسلم : إن أولى الناس بالله من بداهم بالسلام(١) فاذا سلم وجب على الآخر رد التحية بالمثل، واحسن اذا زاد عليها اما وجوب الرد فانه عده صلى الله عليه وسلم حقا على المسلم كما في الحديث الذي رواه ابو سعيد الخدري رضي الله عنه واخرجه البخاري ومسلم وابو داود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : إياكم والجلوس على الطرقات . فقالوا ما لنا بد إنما هي مجالسنا نتحدث فيها . قال : فاذا أبيتم الا المجالس فأعطوا الطريق حقها . قالوا : وما حق الطريق ؟ قال : غض البصر وكف الاذى ورد السلام والامر بالمعروف والنهي عن المنكر

فعد صلى الله عليه وسلم من الحقوق الواجبة رد السلام حيث ان المفروض ان المار اذا لقي المسلمين حياهم بتحية السلام فقال : السلام عليكم . وهو ما بينه الحديث الذي رويناه . فمن حقه عليهم ان يردوا عليه السلام فعلمنا من الحديثين ان من الحقوق العامة على المسلمين التحية بالسلام والرد وقد ارشد القرءان الكريم الى هدا والى فضل الزيادة في قوله جل ذكره (واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها اوردوها ان الله كان على كل شيء حسيبا) قال جمهور العلماء المراد بالتحية السلام وبنوا عليه وجوب الجواب على التخيير بين ان يكون باحسن منه وهو الافضل بان يزيد عليه ورحمة الله وبركاته قال البيضاوي وغيره وهو النهاية أو برد مثله من غير ان يزيد . والزيادة المأثورة بذكر الرحمة والبركة قد استجمعت مع الاصل جميع اصول المطالب التي يسعى الناس اليها - وهي السلامة عن المضار الدال عليها لفظ السلام . وحصول المنافع الدال عليه لفظ الرحمة . وثباتها ودوامها الدال عليه لفظ البركة . وما قاله القاضي البيضاوي من أن في قوله والبركة نهاية الرد هو رأي كثير من العلماء وذهب قوم الى ان الزيادة لاتقدر بكيفية ولا بكمية وهو الاظهر لاطلاق النصوص الدالة على فضل الزيادة وكان ابن عمر رضي الله عنهما يزيد باكثر من البركة في مواطن فقد اخرج البخاري في الادب المفرد عن سالم مولى ابن عمر قال كان ابن عمر اذا سلم عليه فرد زاد فاتيته فقلت السلام عليكم فقال : السلام عليكم ورحمة

(١) الحديث اخرجه ابو داود والترمذي من طريق ابي امامة رضي الله عنه

الله تعالى ثم أتيته مرة اخرى فقلت السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته. فقال: السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وطيب صلواته وقد استثنى مواطن لا يجب فيها رد الجواب فلا يرد في الخطبة وقراءة القرءان وفي الحمام وعند قضاء الحاجة وفي الوضوء وعند التيمم (١)

هذا وقد جاء البيان بمن يبدأ بالسلام في بعض المواطن فيبدأ الراكب بالسلام على الراجل والقادم على الحاضر والمار على القاعد والقليل على الكثير قال عليه السلام (٢) يسلم الصغير على الكبير والمار على القاعد والقليل على الكثير وفي رواية ابي هريرة ويسلم الراكب على الماشي ثم ان ظاهر لفظ الحق يدل على وجوب السلام ولكن قامت القرائن على انه حق ادبي نقل ابن عبد البر وغيره ان الابتداء بالسلام سنة واما رده فهو واجب. فان كان المسلم عليه واحدا وجب الجواب علينا وان كان جماعة فالجواب فرض كفاية في حقهم لما اخرجه أبو داود مرفوعا قال يجزيء عن الجماعة اذا مروا أن يسلم احدهم ويجزيء عن الجلوس ان يرد احدهم. وقد اقتصر الحديث في بيان حق السلام عند اللقاء ولم يتعرض لحال الفراق وقد جاء بيان ما يطلب فيه في حديث اذا قعد احدكم فليسلم واذا قام فليسلم وليست الاولى باحق من الآخرة رواه ابو داود الترمذي فعلمنا منه ان من اداب المفارقة ان يسلم المرء على من سيغادر مجلسهم ففي هذه التحية من المكارمة ما في الاولى.

وها نحن نرى وندرك ان من يغادر مجلسه من غير ان يحيي جلساءه يحدث صنيعه في نفوسهم بعض الوحشة فان في تبادل السلام يشعر كل من راد السلام وملقيه بميل نحو صاحبه وفي تكرره ينمو ذلك الميل

والناس يصفون المقصر في السلام باخس الصفات ويتخذون ذلك منه أمارة على كبره وغلاض طبعه وشراسة اخلاقه وللتحاشي من هذا الظن حث صلى الله عليه وسلم على بذل السلام على من عرفت ومن لم تعرف زيادة عما يحدث من السلام على من لا يعرف من ربط العلائق بين الناس بعضهم ببعض واحداث التعارف والالفة وتنمية الاخوة واستحكام علائقها فان ذلك مقصد عظيم من مقاصد الشريعة السمحة وهدي نبوي اهتدى به المسلمون فنرى المسلمين والحمد لله يسلمون على بعضهم بتحية الاسلام فتنزل على قلوبهم بردا وسلاما ولكن يسوؤنا ان بعض الشبان قد استبدل هذه التحية الطيبة المباركة بغيرها من الالفاظ الدخيلة جهلا منهم بمزية ما ادبهم به الرسول. كما انه سرى لبعض العقول السلام على من هو دونهم في المظاهر الدنياوية يزري بمقامهم فيترفعون عنه وهذا ايضا منشاه عدم ترويض النفس بالاخلاق الطاهرة المحمدية فليحذر الناس من شر هذه الفتن النفسية التي تردي بصاحبها في هاوية سحيقة وليتنبه المرء الى أن من أهم مقاصد الاسلام بث روح الاخوة الاسلامية بين الطبقات وليجعل امامه قوله عز وجل:

(١) احاديث اخرجها ابو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والدارمي
(٢) الحديث رواه الشيخان وامام دار الهجرة وابو داود والترمذي والدارمي

التعاضد المتين

بين العقل والعلم والدين

بقلم العلامة المصلح الهمام الشيخ محمد الحجوي
وزير معارف الحكومة المغربية الشريفية

١٢

الاسلوب العلمي العربي

ان اسماعيل مظهر في كتابه تاريخ الفكر العربي رمانا بنوع من السهام صنع معمل الشعوبية المغرضة فزعم ان اسلوب العرب في علومهم العقلية وغيرها اسلوب غيبي بخلاف اسلوب الاروبيين فانه اسلوب يقيني زاعما انهم نقلوا ما نقلوه من علوم اليونان بواسطة المدرسة الاسكندرية التي ادخلت في كل علومها الطلاسم والعزائم ونحو هذا : ويشير الى ما جاء في القرءان العظيم (يؤمنون بالغيب) سورة البقرة .

جوابنا (١) المشاهدة تكذب هذا فان كتاب اقليدس في الهندسة مثلا الذي هو عمدة الفن والذي بذل العرب جهودهم المتعبة في ترجمته من لدن المائة الاولى هجرية وتحافظوا عليه الى ان وصل ليد الاروبيين مشروحا مختصرا معلقا عليه وامثاله من كتب الحساب والجبر وغيرها كل ذلك سالم من هذه الوصمة .

وهذا جابر ابن حيان المولود في المائة الاولى والمتوفى في ءاخر الثانية اول من هدى الاروبيين باعترافهم الى علم الكيمياء العملي الحقيقي الخالي من كل تدجيل وغيب وما تفطنت اروبا الى كتبه وهي في خزائنها الا منذ نحو مائة سنة وبدراستهم لكتبه واكبابهم على تجاربه الصادقة العجيبة اهتدوا

انما المؤمنون اخوة،ويتدبر ما في هذه الآية من معان سامية ليسهل عليه اطفاء ما يدور بخلده من العزة والجبروت وليتنبه الى ان تحيته لاخيه الضعيف لا تزيده في نظره ونظر الناس كافة الاكل اجلال وتعظيم وان طغيانه وجبروته لايورثانه الا الندامة ولو بعد حين وفي مسند أحمد ان من أشراط الساعة أن يسلم الرجل على الرجل لا يسلم عليه الا لمعرفة . سلمنا الله من شرور انفسنا الجامحة وهدانا الى صراطه المستقيم . (يتبع)

محمد الشاذلي ابن القاضي

لوجه الصواب في هذا الفن العظيم الذي به تقدموا وافتخروا وقهروا العالم وهي تجارب خالية من كل تدجيل .

نعم عنده كتب فيها شيء من الامور الغيبية والطلاسم وذلك شان العارف البحاث الذي يختبر كل الطرق ويسلك منها ما هو موصل للغرض وذلك مدح له لا ذم .

فهو الرجل العظيم الذي ازاح الستار بتجاربه عن اعظم فن افتخروا به وقد خصصته بترجمة مستقلة وستلقى في المذياع قريبا .

ترك نحو ٥٠٠ كتاب منها كثير موجود الان والاكثر قد فقد فمن كتبه ما هو من الاسلوب الذي عابه ولا عيب يلحقه لان الرجل كان يستقصى في البحث كل طريق الى ان اهتدى للطريق الحقيقي فجلى فيه واعترف له المستشرق برتيلو الفرنسي في كتابه تاريخ الكيمياء في القرون الوسطى وغيره قائلا انه في علم الكيمياء كارسطو طاليس في علم المنطق يعني الاول واضع الكيمياء والثاني واضع المنطق . فالطريق الغيبي موجود عندنا وعندهم والمتخصص فيها قليل لا يضر سمعتنا العلمية

(٢) ان قوله تعلى يومنؤن بالغيب ليس معناها ان الله اوجب علينا الاعتراف بكل غيب ولو خالف الشهادة ولو كان وهما وخيالا - كلا - ثم كلا الف مرة

الغيب الذي مدحنا بالايمان به هو ما بينه باثر هذه الآية والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالاخرة هم يوقنون اوجب علينا الايمان باليوم الآخر وهو اصل الكمالات في سائر الديانات . وان نؤمن بالقرءان الذي انزل على نبينا وبسنته التي تواترت الينا وبما انزل على الانبياء قبله مما وصل الينا غير محرف دون من بعده فمفهوم لفظ من قبلك متحكم في معنى الآية اما ما يزعمه من جاء بعد نبينا من مغيبات كشفية او ذوقية او من يقول رايت النبي صلى الله عليه وسلم يقظة او مناما وامرني او اخبرني فهذا ليس مما يجب اعتماده في الدين ولا هو بحجة باجماع المسلمين ولا يعتمده في دينه او دنياه الا معتوه او جاء مشعوذ بطلسمات وعزائم كل ذلك لا يساوي عندنا شيئا وهو الذي نسميه اوهاما وخرافات ولا ينبغي تلطيخ سمعة المسلمين به فالمسلمون الحقيقيون يعتبرونه تدجيلا وخرافات ويحرمون عمل الطلسمات والعزائم ويحكمون بمعاقبة من يشتغل بها فهذا الاسلوب الغيبي الذي يعيب اسماعيل مظهر علوم العرب به كله عندهم خارج عن الدين غير ملتفت اليه عند من هم عمدة في علم الدين او علوم الدنيا وهذه الطائفة التي تشتغل بالاوهام الغيبية موجودة عند كل الامم وربما كانت الآن في اوربا اكثر من غيرها وكما انها ملموزة ممقوتة هنالك ملموزة هنا ولا يشتغل بخرافاتها الا جهلة العوام ولا دخل لخرافاتها في امر الدين بل نحن نعتبرها هدامة للدين . وامور سياسية واقتصادية شباك صيد بيد البطالين والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

انتهى

رفع اللبس عن خطبة تزكية النفس

بقلم الفاضل الزكي الشيخ الجيلاني حمزة
الامـام بجامع مصطفى حمزة بالمهدية

وقع لبعض الافاضل توقف في موضعين من الخطبة التي نشرتها بالعدد الاول من السنة الثالثة من المجلة الزيتونية الغراء فرايت من الواجب علي دفعا للالتباس وزيادة لتحقيق الموضوع ان اتعرض بالشرح والبيان للموضوعين المـذكورين لكن قبل الشروع في ذلك لا باس ان اوضح لقراء المجلة الافاضل خطورة المهمة الملقاة علي نحو الوعظ والارشاد ومدى الخطة التي اسلكها تجاه هذه الغاية النبيلة والذي أحب ان يعلمه القراء هو ان الوعظ أحد سلاح ندفع به اخطـار الجرائم وأنجع دواء نكافح به وباء الشرور والآثام التي غمرت هذا العصر بطوفان جارف لا نجاة لنا منه الا بان يعد الواعظون المصلحون سفينة النجاة لينقذوا البشرية من حمأة الرذائل التي تفاقم خطبها واشتد كربها واستعصى داؤها. والرذائل اذا فشت في امة هدمت بناءها واورثتها خرابا ودمارا وجعلت اهلها اعداء بعضهم لبعض فتحسبهم جميعا وقلوبهم شتى لذلك نحث كل واعظ بل كل مسلم ان يجاهد بماله وبلسانه وهو واقف عند حد الحق والقانون لا يحيد عنهما قيد شعرة ولا انملة ليسلم ويامن ويؤدي ما وجب عليه ويجتني ثمرة طيبة من عمله. فالدين قد اناط بكل فرد من افراد المسلمين واجب السعي في اعلاء كلمة الدين وان اعظم ما يثاب عليه المسلم السعي وراء تحقيق السعادة واعلاء شان الامة بقدر ما يستطيع

انه لا يكفي المسلم ان يقول انـا مسلم وهو خامل لا يعمل بجد ونشاط على اعزاز دينه وعلى تبوئه عرش الكرامـة والعزة والا كان مغرورا في دينـه والغرور في الدين مرض يتولد منه كثير من امراض الحياة وهيهات ان تستقيم حياة مع امراض. لقد طفقت افكر فيما نحن فيه الآن من سوء الحال وفساد الخلال فدمعت العينـان وحزن القلب على ما حل بنـا في هذا الزمان من انحدار في الاخلاق وتنطع فى الطباع فقد نزلت الاثرة وحب النفس مكان العطف وحلت القسوة محل الرحمة واستبـدل البخل بالكرم وغلت الايدي الى العنق بدل البذل والسخاء في مواقف الشرف واعتاض الانسان عن الشهامة بالنذالة والامانة بالخيانة والكرامة بالدناءة وبالجملة فقد عمت الفوضى وراجت سوقهـا في كل ناحية من نواحي الحياة وبات المصلحون حيارى لا يدرون الى اي هاوية نسير فى هذا العصر المتاخر الذي يقول اهل جيلنا الحاضر فيه انه عصر الحرية والنور ولو انصفوا لسموه عصر السماجة والفجور لاننا لا نعلم زمانا اجترأ فيه الناس على الاثم والعدوان كهذا العصر فاننا نرى المرء يرتكب ما يرتكبه

ولا يبالي بان يعرف بين عشيرته وجيرانه بانه على غير هدى وعلى غير اعتدال في كثير من شؤون حياته لذلك فاننا اذا اكثرنا من عتاب اخواننا المسلمين على تقصيرهم في الحياة وشؤونها ولا سيما ما يتصل منها بالدين والاخلاق لم يكن قصدنا بذلك الا دلالة المسلم على ما به من عيب ونقص ليسعى في علاج نفسه وإصلاح حاله فلقد عاهدنا الله عند التصدي لمهمة الوعظ ان نجهر بالحق ولا نخشى فيه لومة لائم ولا سيما في شؤون الدين الحنيف ما دمنا في حضيرة قانون الاخلاق وكذلك عودنا انفسنا ان نخشى الله قبل ان نخشى الناس فرسول الله صلى الله عليه وسلم قد حذر تحذيرا شديدا كل من يشاهد غيره يتجاوز حدود الله ولا يتقي محارمه ثم لا ينهاه عما هو فيه. فقال صلى الله عليه وسلم كما في الصحيحين : (مثل القائم في حدود الله والواقع فيه كمثل قوم استهموا على سفينة. فكان بعضهم اعلاها وبعضهم اسفلها. فكان الذي في اسفلها اذا اخذوا الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو انا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا فان تركوهم وما ارادوا هلكوا وهلكوا جميعا وان اخذوا على ايديهم نجوا ونجوا جميعا) حقا لقد صار اهل الاصلاح في تشخيص داء المسلمين وفي وصف الدواء الذي يستاصل هذا الداء ويذهب به في حيرة والحق انه لا حيرة ولا غموض فداؤهم ذو شعب وفروع

واصله انهم نبذوا دينهم وراء ظهورهم فكان عاقبة امرهم ان صار بعضهم لبعض عدوا حتى قال بعض ملوك الاسلام ما اخشى على المسلمين الا من المسلمين وهذا قول فصل ليس بالهزل فانه ما من ضر واذى يصل الى اهل الاسلام الا على يد مسلم او من طريق فيه مسلم. فهل الذين يستعين بهم اعداء الملة على الاضرار باخوانهم هم بحق وصدق مسلمون صادقو الاسلام ومؤمنون كاملو الايمان ؟ كلا ثم كلا فالايمان له امارات تدل عليه لا يثبت بمجرد الدعاوي وقد اخطأ من ظن ان الاسلام هو ان يمسك المرء السبحة بيديه ويقلب خرزها باصبعيه ثم تراه بعد ذلك ياكل لحم اخيه وينبش عن مساويه ويوشي به من غير حق ويخدعه ثم يزيد يحتال في ذلك الخداع كما يحتال المرء في اصطياد الحيوانات الضارة فينصب لها الفخاخ والمصائد ويضع فيها اللحم والشحم ويفتح لها باب الضيافة فاذا ولجت الابواب امسكت الفخاخ بلحمها وعظمها واوردتها موارد الردى ولا شك ان الخداع لا يتصف به الا فاجر تجرد من مزايا الايمان فهو لا يرعى عهدا ولا يرقب من الناس احدا واني لا استقبح في هذه الدنيا شيئا بعد الكفر بالله كاستقباحي للاضرار بالناس بل اجد نفسي غير مستعدة لان تقبل عذر من يسعى في الاضرار باخيه ما لم يكن في ذلك اقامة للحق او دفاع عن النفس والعرض فالله تعالى يقول (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما إكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا) نسال الله ان يرزق المسلمين تبصرا في دينهم حتى يستطيعوا ان يروا الاسلام بالعين التي يجب ان يرى بها .

هذا ولنشرع في شرح الموضوعين اللذين اشرت اليهما في طالع المقالة شاكرا لفضيلة الاستاذ الامام سيدي محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي عنايته السامية التي لم يزل يفيضها على الوعظ

والوعاظ في كل مناسبة وما هـذا الشرح والبيان الا نتيجة من تذكيره وتنبيهه ابقاه الله ذخرا للاسلام والمسلمين . وشرح الموضوعين يرجع الى فقرتين الاولى هي قولي في طالع الخطبة (ايها الاخوان ان اعمال الخير اثر الايمان ولا يكون المؤمن مؤمنا الا اذا كان لاعتقاده الباطن اثر في عمله الظاهر . اما من اكتفى من الاسلام باسمه . ومن الشرع برسمه . ثم لا يكون لذلك اثر في تزكية نفسه . فهو من المنافقين . وان صلى وصام وزعم انه من المسلمين . لان مخالفة الظاهر للباطن آية النفاق . والمنافقون في الدرك الاسفل من النار . ولهم في الآخرة الخزي والعار) والجواب على ذلك هو ان مرادي بالنفاق النفاق العملي لا الاعتقادي لان النفاق كما لا يخفى ينقسم الى قسمين نفاق ديني ونفاق عملي فالنفاق في الدين معروف وهو اظهار الايمـان او التظاهر بالايمان واخفاء الكفر والنفـاق العملي هو التظاهر بالحسن واخفاء القبيح فالمنافق في الاخلاق انسان حي يغـدو ويروح ولكن وجوده قـذر الانسانية ودنسها برجسه وخسة فعله ولؤم طبعه فهـو في الخلق والصورة انسان ولكنه في الحقيقة مارد وشيطان تراه يظهر لك المودة في كل لحظة من لحظات حياته فيهتف بمزاياك في كل آن ويمدحك في وجهك وفي كل مكان . يطرق بابك بكرة وعشيا يسأل عنك ويتودد اليك فتحسبه بذلك صادقا في الصورة التي ظهر بها ربما افضيت اليه بشيء من كامن اسرارك التي لا يطلع عليها الا الصديق الحميم والخل الوفي وبعد ايام تنكشف لك حقيقته ويفتضح لك امره وغدره فاذا به محتال واثيم ينصب فخه ويغطيه بالرماد

وقـدمني اكثر الناس في هذا الزمان بهذه الصفات وفشت فيهم . وجونا مملوء بهذا النوع نوع المنافقين نفاقا خلقيا وهم الذين عنيتهم في الفقرة الاولى من خطبتنا فهم في الحقيقة علة العلل في انحلال الامـة وشقائها واذلالها .

فقد قـال رسول الله صلى الله عليه وسلم في النفاق العمـلي (اربع من كن فيه كـان منافقا خالصـا وان صلى وصام وزعم انه مسلم اذا حدث كـذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان واذا خاصم فجر) وعندي ان من وجدت فيـه الخصال الاربع مجتمعة ولا يبالي بها بعد انذار الله وتشديد رسولـه صلى الله عليه وسلم فليبشر نفسـه بسوء الخاتمة والعياذ بالله تعالى نسأل الله ان يجنبنا النفاق بفضله وكرمه .

من هذا يتبين لك ايها القاري الكريم ان المراد بالنفاق في الخطبة نفاق العمل وصاحبه وان لـم يعتبر خارجا عن الملة ولم يكن في الدرك الاسفل من النار لكن له من دركاتها وعذابها على قدر الآثار السيئة التي تنشأ عن نفاقه والمضرات التي تلحق الناس من خديعته وقد وصف القـرآن الكريم ارباب النفاق فقال (يقولون بافواههم ما ليس بقلوبهم) ومن الآيـات التي تكاد تكون صريحـة في وصف النفاق الاجتماعي قوله تعالى (ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيـا ويشهد الله على ما في قلبـه وهو الد الخصام واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفسـاد واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد » نزلت هذه الآية في منافق خاص وقيـل في المنافقين عامة ولا يخفى ان الآية تنزل في الرجل ثم تكون عامة بعد وقد طبق هـذه الآية بعض علماء السـلف فقالوا (ان لله عبادا السنتهم احلى من العسـل وقلوبهم امر من الصبر لبـسوا للناس جلـود الضان من اللين ليجروا الدنيا بالدين) وعلى هذا فان الآية تشمل في عمومها اولئك الذين يتظاهرون في

مجالسهم مع الناس بحبهم لعمران بلادهم ورغبتهم في اصلاح شؤونها ويؤكدون اقوالهم باغلظ الايمان ويكونون هم في الباطن مبغضين لكل اصلاح اجتماعي بدليل انهم اذا قاموا من مجالسهم الى ممارسة اعمالهم كانت مساعيهم منصرفة الى تخريب البلاد والتمويه على العباد. اما الاحاديث الواردة في ذم النفاق والمنافقين فكثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم (من ارى الناس فوق ما عنده من الخشية فهو منافق) رواه مسلم في صحيحه والمراد بالخشية الخوف يتظاهر بذلك تظاهرا

ومن ضروب النفاق والرياء من يتصدى لنصح الناس ووعظهم وأعماله تخالف ذلك كمن يزهد القوم في جمع المال وهو مكب عليه وكمن ينهى الناس عن المسكر وهو غريق في دنانه صباحا مساء وكمن يحذر المسلم محاربة الله ورسوله بالتعامل بالربا وهو ياكل ويشرب مما يدره عليه هذا الحرام ورحم الله من قال

ما اقبح التزهيد من واعظ ... يزهد الناس ولا يزهد
لو كان في تزهيده صادقا ... أضحى وأمسى بيته المسجد
يخاف ان تنفد ارزاقه ... والرزق عند الله لا ينفد
والرزق مقسوم على اهله ... يناله الابيض والاسود

وقول الآخر

وغير تقي يامر الناس بالتقى ... طبيب يداوي الناس وهو عليل

فليحذر المربي هذا الامر من نفسه ولا يفعل فعل ذلك الواعظ الذي سرق الدجاجة ثم قام يخطب في القوم ويحضهم على ممارسة الفضيلة والعفة عما في جيوب الناس واذا بالدجاجة تقرقر في جيبه فالوعظ لا يثمر ثمره الطيب الا اذا اقترن به عمل الواعظ (يا ايها الناس لا تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا مالا تفعلون)

الفقرة الثانية قلت : (ان ابليس خير من هؤلاء الكذابين الدجالين . لان ابليس كان عاقلا وصادقا حين قال : رب بما اغوتني لازين لهم في الارض ولاغوينهم اجمعين الاعبادك منهم المخلصين . فلم يكذب ولم يخادع ولم ينافق واعلن انه يستثني منهم المخلصين .) والجواب على ذلك انه لا يخفى على القارىء ما ينتج عن الخصال المتقدمة من الفساد والشرور وتباغض الاحباء وتقاطع المتعاهدين على الصفاء والوفاء فكانت هذه الخصال الذميمة منافية للاسلام لان تتبع المسلم لعورات اخيه وبحثه عن اسراره يريد بذلك هلاكه وفضيحته والتنكيل به كلما قدر عليه ولم يسلم من عظيم اذايته احد قدر عليه ويتوصل الى اغراضه بمخادعته لذلك قلنا أن ابليس خير من هؤلاء لان ابليس فرق بين المخلص وغيره وعلمنا شره فلا نتركه يسيطر على نفوسنا ولا نتبع غوايته فشروره يمكن التحرز منها اما هؤلاء فنسقط في ايديهم ونحن نظن بهم خيرا . ومن تعلم مضرته خير لك ممن اخفاها عليك . فكان هؤلاء يجهلون ان الله يعلم ما يفعلون او كانهم اتخذوا عند الله عهدا الا يحاسبوا ولا يسألوا فلا لوم حينئذ على من يرى أن أمثال هؤلاء شر من ابليس وليس ببعيد ان يكون امثال هؤلاء الضالين سبب النكبة العامة التي حكم الله بها على البلاد كما حكم على العباد فقال في كتابه الكريم (وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة او معذبوها عذابا شديدا كان ذلك في الكتاب مسطورا)

الملاجيء الخيرية الاسلامية

في الدولة الموحدية والمرينية بالديار المغربية



بقلم العلامة الجليل الحافظ المولى
محمد عبد الحي الكتاني دام نفعه

ان اقل نظرة يلقيها الرجل على فاس يجد انه يحيط بها ينابيع اربعة كل ينبوع قاطع لجرثومة داء فالحمة اليعقوبية لداء الجلد والقروح والحمة الخولانية للمعدة ومجاري البول وحمة زالغ المعروفة بحمة وشتاتة لداء الراس وحمة بني سادة التي بضفة وادي سبوا لغير ذلك فاي قاعدة في العالم تكتنفها اربع حميات كل واحدة لداء هذا زيادة على ما في ينابيع ماء وادي فاس ومجاريه من العشب والنباتات التي لها من الخواص ما تتبعه ابن ابي زرع والجزداي وابن القاضي وغيرهم من مؤرخي فاس . الى كون بناء المدينة جاء في مصب وادي الجواهر فيدخل اليها نقيا ثم يخرج بفضلات اهلها فليس هناك بلدة في الدنيا يخرج الماء بسائر فضلاتها في وقتها عداها فلا تحتاج الى مطامير لخزن الفضلات لتباع بعد الادخار ولا لاستخدام ءالاف من الرجال وءالات يحملها سرا ان لم يكن جهرا كما هو الجاري في سائر بلاد المعمور ولا شك ان هذا يدل دلالة واضحة على عظمة هذا الرأس المفكر وبعد غور هذا المؤسس العربي الفذ المدبر ولا شك ان الحكمة بنت النبوة وهو احرى واجدر بالتفضل والفتوة وقد ذكر ابن القاضي في الجدوة ان الذي اعتنى ببناء حمة خولان على وجه محكم لتتم به مصالح الناس السلطان ابو الحسن المريني رحمه الله . بقي ان نختم هذا المقال بمسالة هامة تتعلق بالمستشفيات الاسلامية كان احد الاطباء في مستشفى الحكومة الاكبر بفاس قبل سال هل هناك من تكلم على العمل الجاري قديما في تغسيل الموتى وغسل ثيابهم اذا ماتوا بداء معدي في المستشفيات الاسلامية المذكورة وقد كان اشتد بحثي عن نص صريح يؤول معناه الى البيان حتى ظفرت بكتاب في الطب لابي عبد الله محمد ابن يحيى الشيخ السوسي فوجدته يقول حين تكلم على الوباء والعمليات الطبية التي يجب ان يعامل بها وكيف يتعامل الاصحاء مع المرضى قال ويحترس من تناول الحوايج من المرضى خصوصا كسوة المريض ولباسهم وفراشهم والمايع من فضل طعامهم وما وصله عرق المرضى ورطوباتهم وروائحهم والمكث في موضع مريض او ميت قال ويتحفظ في حفظ المرضى ويفرد لهم موضع يليق بهم بعيدا عن مسكن غيرهم بنحو قدر رمح ولا يكون في جهة الريح للاصحاء ويحذر في تمريض المرضى وغسل الموتى وحملهم ومس ثيابهم باستعمال الضماء على الانف والبعد منهم ان امكن ويغسل ثيابهم بعد البرء او الموت بماء بارد بعد مضي ثلاثة عشر يوما ويترك الكسوة خارج البيت في تلك المدة للرياح وينبغي غسل ثياب الاموات في مجرى الماء على حجر صلد مستو بحيث يذهب الماء المنفصل بسرعة وكذا غسل الاموات انما يكون بالماء البارد في موضع مكشوف ويقف الغاسل والمعين وراء الريح ويمسح انفه بالقطران او الصبر او الورد عند مخالطة المرضى والاموات او الصبر والريحان مع الخل او ماء الليمون او الماء ويحذر عند دفن الميت ذكرا او انثى فيأمر الناس بالبعد عن القبر جدا ويقف من يتولاه وراء الريح ويفعل ذلك بسرعة مشمرا ثيابه مالئا انفه بالصبر والخل ونشر النارنج المدقوق وهو جيد الخ.

ومما يدل على ان الناس في القرون الاولى الاسلامية كانوا يدركون تاكيد الابتعاد عن مهاب الرياح محال ذوي العاهات المعدية ما وقع في روض القرطاس لابن ابي زرع من ان باني فاس الامام ادريس ابن ادريس برد الله مرقده لما وصل في بناء سور المدينة الى كراوة صنع هناك بابا شرقيا يعرف بباب الكيسة قال ومنه يخرج الى حارة المرضى قال وكانت حارة المرضى بخارج هذا الباب ليكون سكناهم تحت مجرى الريح الغربية فتحمل الرياح ابخرتهم ولا يصل الى اهل المدينة منها شيء وليكون تصرفهم من الماء وغسلهم بعد خروجه من البلد ولما ظهرت الدولة المرينية انتقل الجذمى خارج باب الخوخة وسكنوا بالكهوف التي بقرب الوادي بمطامر الزرع الى ان تم امر بني مرين في الظهور فرفع الى يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني امر الجذمى وان تصرفهم وغسل ثيابهم وءانيتهم واقدارهم في نهر مدينة فاس لقربهم منه وان ذلك ضرر لاهل المدينة فامر رحمه الله عامله على المدينة وهو الشيخ ابو العلاء ادريس بن ابي قريش ان ينقلهم من هنالك ليبعدوا عن ماء النهر فنقلهم الى كهوف برج الكوكب الذي بخارج الجسية من ابواب عدوة القرويين وذلك في سنة ٦٥٨ وقد اوما الى ما ذكر العلامة ابن غازي في كتابه المسمى بالاشارات الحسان المرفوعة الى حبر فاس وتلمسان وذلك انه ذكر فيه ان في بعض التواريخ ان الامام ابابكر بن العربي المعافري دفن على مقربة من حارة الجذمى قال وجوابه ان الجذمى كانوا هناك قديما حتى تضرر اهل فاس بسكناهم فنقلوا الى موضعهم اليوم والمحل الذي انتقلوا له بكهوف برج الكوكب هو محل مناسب جدا لبعده عن المدينة والمارة وانحداره جدا وقد احسن في النعت والوصف ابن القاضي في الجذوة لما ترجم ليوسف بن عمر شارح الرسالة فانه قال ودفن خارج الجسية بين الحارتين على قرب مقابلة برج الكوكب اه صحيفة ٣٤٦ ومما يدل على ان اهل القرون الاولى الاسلامية كانوا يعملون على ان الوقاية من اعظم طرق الرعاية ما ذكره الامام ابو جعفر من خاتمة الاندلسي في كتابه الذي الفه في الطاعون الواقع ببلدة المرية بالاندلس عام ٧٤٧ وسماه غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد قل في المسالة ٤ منه التي هي فيما ظهر من عدواه ما نصه . الظاهر الذي لا خفاء به ولا غطاء عليه ان هذا الداء يسري ويتعدى ضره شهدت بذلك العادة واحكمته التجربة فما من صحيح يلابس مريضا ويطيل ملابسته الا وتتطرق اليه ءافته ويصيبه مثل مرضه من حينه عادة غالبا اجراها الله والفعل في الاول والثاني للحق جل جلاله خالق كل شيء نفيا واثباتا نفيا للتوليد الذي يذهب اليه اهل الضلال وابطالا العدوة التي كانت تعتقدها العرب في الجاهلية واعلانا بالحق الذي قام عليه شاهد الوجود وذلك ان اصل هذا الحادث هو تغير الهواء واستحالته الى طبيعة اخرى ولا شيء اعظم تغيرا او استحالة الى العيب من الابخرة التي تنفصل عن المرضى الذين حل بهم هذا الداء ولا سيما ما خرج منها مع انفاسهم عند استحكام التعفن والعيب في ابدانهم وارواحهم وذلك عند الموت فانها ابخرة رديئة لا يستنشقها احد ممن يلابسهم ويداوم على ذلك الا اثرت فيه على الفور الى ان قال وكذلك من استعمال ملابسهم وافرشتهم التي تقلبوا عليها زمن مرضهم كما شهد له به العلم والتجربة قال ولقد شاهدت اهل سوق الحلق بالمرية الذين يبتاعون بها ملابس الموتى وفرشهم مات اكثرهم ولم يسلم منهم ولا من الذين خلفوهم الا القليل الاقل وغيرهم من ارباب الاسواق حالهم كحال سائر الناس واطلعت من حال البلدان الذين حرس اهلها نفوسهم على ان لا يدخل اليهم احد من اهل بلاد الوباء وحافظوا على ذلك يستصحب السلامة زمنا طويلا هـ كلامه وبعبارة ابن خاتمة نختم حديثنا والسلام عليكم ورحمة الله .

صفحة من تاريخ تونس

القضاء الشرعي

٤

عود على بدء

بقلم العالم المؤرخ امير الامراء سيدي محمد
ابن الخوجة مستشار الحكومة التونسية

قلت في خاتمة مقالي الثالث المدرج بالعدد السادس من هـذه المجلة المباركة « وسيكون عنوان مقالتي الاتية : اسد بن الفرات وفيها ناتي على تاريخ انتشار المذهبين الحنفي والمالكي بافريقيـة » والله تعلى يقول : ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله ـ فلما قصدت في هذه الاثناء استيناف بحوثي لاستكمال المادة التي بين يدي لتحرير ترجمـة اسد واهمها كتاب المدارك للقاضي ابي الفضل عياض وكتاب معالم الايمـان للدباغ مع ذيلـه لابن ناجي وقفت على نبذة مهمة بكتاب فتوح العرب لصقلية للمؤرخ اماري من كبـار المستشرقين في القرن الماضي استغرقت نحو اثني عشرة صحيفة في تاريخ حياة اسد عزى بعضها المستشرق المذكور لكتاب رياض النفوس (١) للمؤرخ ابي بكر عبد الله ابن محمد بن عبد الله المشهور بالمالكي وهذا الفاضل من رجال المائة الخامسة فكتابه متقدم على كتاب المدارك وهذا بدوره متقدم على كتاب معالم الايمان وهذان الكتابان هما عمدتنا في التراجم وعند ذلك لاح لي ان ترجمة اسد لا يصح تحريرها بوجـه مفيد الا بعد النظر في اقدم كتب التراجم الافريقية عهـدا يعني كتاب رياض النفـوس ولكنه لسوء الحظ من الكتب المفقودة او ما في معناها فلزم بحكم الضرورة زيادة البحث عنه او التصدي على الاقل لترجمة ما نقل عنه المستشرق اماري وهذا يستدعي لا محالة الكثر من الايام المعدودات الفاصلة بيني وبين بزوغ قمر هـذا العدد من المجلة الزيتونية فلسد هذا الفراغ ارجيت تحرير ترجمـة اسد مع ما يتبعها من تاريخ انتشار المذاهب السنية بافريقية الى فرصة قابلة يساعدنا عليها طقس رحيم ينسينا جهنمية هذه السبعة والاربعين درجة ظلية التي نشفت دونها المحابر وتصدعت اسنة الاقلام وهناك باعث ءاخر على هذا الارجاء وهو وجوب السعي للوقوف ولو على قطعة من المدونة الاسدية وهي من الكتب المفقودة بتونس لكن بعض الشيوخ يقول انه ربما بقيت منها بقية مشتتة بخزانة جامع القيروان لان الكلام على اسد من الناحية الشرعية اي بصفته فقيها قبل

(١) توجد منـه نسخة مخطوطة تعتورها انقاص كثيرة تم نسخها في سنة ٧٢٩ محفوظة بالمكتبة العمومية بباريس مرسمه تحت عدد ٢١٥٣ بفهرس التآليف العربية بالمكتبة المذكورة

ان نتكلم عليه من الناحية الاجتماعية اي بصفته قائدا فاتحا لصقلية سيجرني للكلام على اخذه عن الامام ابي يوسف ولا سيما عن الامام محمد بن الحسن فلو تهيأ لنا الاقدار الوقوف على بعض اوراق الاسدية لما صعب على اهل العلم تحليلها تحليلا فقهيا يرينا على ضوء الهداية والتسامح هل كانت الاسدية كلها من املاء عبد الرحمن بن القاسم تلميذ امام دار الهجرة مالك بن انس رضي الله عنه ام ان اسدا في دائرة اجتهاده وهو من كبار المجتهدين بما لاريب فيه شحنها بشيء كثير من مروياته عن شيخه محمد بن الحسن صاحب الامام الاعظم ابي حنيفه رضي الله عنه اذ من المعلوم ان اسدا اخذ في مبادي امره عن المدنيين وهم اهل الرواية ولكنه اظهر بعد ذلك ميله باجمعه للعراقيين وهم اهل الرأي الى غير ذلك مما سنبحث فيه ان شاء الله عند توفر المادة بالحصول على شيء من كتاب رياض النفوس ومن كتاب الاسدية بخزانة القيروان

بقي لي استدراك على ما ورد بآخر المقالة الثانية من مبحث القضاء الشرعي بالصفحة ٢٤٨ من المجلة حيث اشرت لما حصل لبعضهم من الشك في اسم القاضي الشيخ محمد الكافي ففي هذا المعنى نقول ان اسمه صحيح برسمه الوارد في قائمة القضاة المالكية بالصفحة ٢٤٧ من المجلة ، قال الشيخ محمد بيرم الرابع في رسالة التراجم المهمة للخطباء والايمة عند الكلام على القاضي الشيخ مصطفى بن القاضي الشيخ احمد الطرودي الحنفي ومن خطه ننقل هنا ما نصه : واجتمع به (اي الشيخ مصطفى) في القضاء من المالكية الشيخ ابراهيم المزاج ومن قبله القاضي الكافي الذي هو اخر قضاة علي باشا وعزله المولى محمد باي (الرشيد) اه

وهذه وثيقة اخرى غريبة في نوعها لانها عبارة عن تفويض من المشير احمد باي لشيوخ المذهب الحنفي بالنظر والترجيح بين آراء شيوخ المذهب المالكي في نازلة من انظارهم وهي تدلنا من ناحية على سعة انظار سمو الباي المومأ اليه وتحريه في النوازل الشرعية وترينا من ناحية اخرى درجة التسامح والتكاتف المغبوط بين فقهاء المذهبين الشقيقين ومحصل النازلة ان جنديا دمي عليه جريح بشهادة عدلين فجاء الجندي بشهادة تثبت انه كان ساعة القتل في بلد الكاف حاضرا بحفلة عرس وهو غير البلد الذي وقع فيه الاعتداء على الهالك فاختلف يومئذ الشيخ ابراهيم الرياحي كبير اهل الشورى المالكية وكاهيته المفتي الشيخ محمد بن سلامه وقاضي الجماعة الشيخ محمد النيفر الاكبر واصر كل على ما راى فلما عرضوا أراءهم على سمو الباي للترجيح امر باحالة القضية على الجماعة الحنفية وكتب بذلك مكتوبا للشيخين ابي عبد الله محمد بيرم الرابع وابي عبد الله محمد بن الخوجه وهذا نص المكتوب بحروفه :

حفظكم الله تعلى ورعاكم ونور العلم بتقواكم الفاضلين الخيرين العالمين العاملين قطبي مذهب النعمان والقدوة في نهج الشريعة الوثيقة الاركان احبابنا الصدر شيخ الاسلام سي محمد بيرم وكاهيته الشيخ

سي محمد بن الخوجه سدد الله انظارهما اما بعد السلام عليكم ورحمة الله فان جريحا دمى على رجل بشهادة عدلين وشهدا بموته فوجهنا النازلة لعلماء المالكية كما هو الحكم الجاري بقطرنا في نوازل الدماء ثم ان المدعى عليه استظهر بشهادة تنافي رسم التدمية وطال الخصام في النازلة فانتج قياسها خلافا بين علمائنا المالكية وتحرجت من تنفيذ ما يقتضيه الاجتهاد في السياسة لانها كانت على بساط الحكم الشرعي وجالت فيها انظار نوابنا في ذلك فظهر لي ان اوجه لامانتكما حجج الفريقين ومكاتيب علماء المالكية لاعتمد على ترجيحكما فانظرا فيها كانكما مالكيين (كذا) من اعتبار اقرار القتيل وان القتل بغير محدد كما هو المذهب المالكي وليكن مناط نظركما كلام المشائخ المالكية الذي انهوه الينا وكاتباني بما ينثلج اليه صدركما من الترجيح وبما تدينان الله به يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا فانكما بحمد الله ممن لا تاخذه في الله لومة لائم والدين واحد واختلاف الايمة الذي هو رحمة لا يمنع المخالف من النظر بالعلم في قول غيره فان تطبيق النصوص والقواعد على النوازل ليس من شرطه اتحاد المذهب انما شرطه الفهم والعلم وهذا دم مسلم يلزمنا في اراقته التحري والله يقول ولكم في القصاص حيوة فعنايتنا بالحي مثل عنايتنا بالقتيل والله يقول الحق وهو يهدي السبيل والسلام من الفقير الى ربه تعالى عبده المشير احمد باشا باي وفقه الله ءامين وكتب في ٢٧ رجب سنة ١٢٦٥ اهـ.

هذا ولاتمام ما تقدم نشره بالعدد الاخير من المجلة بخصوص علاقة اهل العلم باهل السياسة في مقام الامور الرسمية نلحق بذلك هنا وثيقة تاريخية في مقام العلائق الادبية بين العلماء واهل السياسة من الاروباويين بتونس وهي عبارة عن تقريض لرسالة كتبها المستشرق ريشار وود قنصل انكلتيرة بتونس اسماها (الادلة الجلية في موافقة شريعة الاسلام للقواعد الانسانية) فهذه الرسالة اهداها صاحبها للعلامة الشيخ احمد بن الخوجة ولما قراها الشيخ رحمه الله قرضها بالمكتوب الاتي نصه :

جناب البارع الحاذق الماهر المجرب البصير بالسياسة المدنية والتهاذيب الانسانية الموقر سيادة ريشار وود نائب وقنصل جنرال بريطانيا بالمملكة التونسية حرسه الله تعلى بعد الدعاء لجنابكم بالسعادة ودوام العافية فقد وصلتني هديتكم السنية كتابكم الذي سميتموه الادلة الجلية فسررنا به سرورا عظيما وزاد في ايضاح الدلالة على امتداد باعكم في المعارف وكمال انصافكم ومفاخركم المقتضية لتقدمكم في المناصب العالية وشريعة الاسلام واردة على الميزان الاعدل مؤسسة على الرفق والرحمة حافظة لمصالح الخلق على النظام المحكم الذي يشهد بفضله العيان فان صدر من بعض المتوحشين خلاف ذلك فهو خروج عن قواعدها ونظامها وقد اوضحتم في كتابكم من هذا الغرض ايضاحا جميلا والوقائع التاريخية تشهد بان المتوحشين يفعلون ذلك البغي مع بني دينهم من المسلمين ويعوقونهم عن اقامة قواعد ملتهم كما في حروب القرامطة في البصرة والكوفة وما فعلوه مع الحجاج من نهب الاموال وسبي النساء والصبيان والقتل والافساد وبقي الحجاج كما قال الفاضل ابن خلدون في تاريخه كتاب العبر ضاحين الى ان هلكوا الى غير ذلك مما هو مسطور في كتب التاريخ فنحن ندعو الله تعلى بدوام العافية في ذاتكم وانجالكم واهلكم مع سعادتكم اجمعين على ملاحظتكم الجلية وكمال انصافكم وصدعكم بالحق حرره الفقير الى ربه احمد بن الخوجة شيخ الاسلام بالمملكة التونسية كان الله له في ١ ربيع الانور سنة ١٢٩٦ اهـ محمد بن الخوجة

صفحة من تـاريخ تونس — صلة تـونس بالدولة العلية

بعثة خير الدين للاستانة

سنتي ١٢٨١ - ١٢٨٨

للعـالم امير الامـراء الاستـاذ
محمد صالح مزالي عامل بنزرت

« ١٥ »

الحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى ءاله وصحبه وسلم

امرنا هذا بيد الهمام المفخم امير الامراء ابننا خير الدين الوزير المباشر واننا انتخبناه للرسالـة للابواب العلية السلطانية العثمانية خلد الله تعلى سلطانها وارشدها للخير واعانها لطلب الفرمـان العلي الشريف الذي صدرت به الارادة السنية بمقتضى كتاب الصدارة العظمى المؤرخ في ٢٣ رجب سنة ١٢٨١ المتضمن بيان حقوق الدولة العلية بهذه الايالة وحقوق معظم قدرها وءال بيته بها وفوضنا اليه في طلب ما ذكر راجيا من الله تعلى ان يحفه من انوار الخلافة بما تقر به العيون مما املناه من مكارمها المعروفة وطلبناه حتى يرجع الينا بهذا المطلب الذي هو الامل ونتيجة القول والعمل وان يمده باعانته وتوفيقه بمنه وكرمه والسلام من الفقير الى ربه تعلى عبده المشير محمد الصادق باشا باي وفقه الله تعلى وكتب في ٢٠ جمادى الثانية سنة ١٢٨٨ ثمان وثمانين ومائتين والف صح من محمد الصادق باي

مصطفى (الطابع السعيد)

« ١٦ »

الحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى ءاله وصحبه وسلم

امرنا هذا بيد الهمام المفخم امير الامراء ابننا خير الدين الوزير المباشر واننا انتخبناه للرسالة للابواب العلية السلطانية العثمانية خلد الله تعلى سلطانها وارشدهـا للخير واعانها، لعرض مطلبنـا على اعتابها السنية وفخامتها العلية وهو صدور الفرمان الشريف العلي في بيان جهة الارتباط الذي بين الايالة التونسية والخلافة العثمانية بايضاح ما للدولة العلية بها من الحقوق المقررة وما لمعظم قدرها وءال بيتـه من الحقوق المقررة بها ايضا وفوضنا له في ذلك بما يراه صالحا لهذا المقصد الديـني والسياسي بحيث ان ما يبرمه في ذلك ماض علينا راجيا من الله تعلى ان يحفه من انوار الخلافة بما تقر به العيون ويوضح ما هو في جنب مكارمها المظنون وان يمده باعانته وتوفيقه بمنه وكرمـه والسلام من الفقير الى ربـه تعلى عبده المشير محمد الصادق باشا باي وفقه الله تعلى وكتب في ٢١ جمادى الثانية سنة ١٢٨٨ ثمان وثمانين ومائتين والف صح من محمد الصادق باي

مصطفى (الطابع السعيد)

التعليمات السرية

« ١٧ »

الحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى ءاله وصحبه وسلم

الهمام المفخم امير الامراء ابننا خير الدين الوزير المباشر حرسه الله تعلى السلام عليكم وبعد فانكم على علم بمكتوب الصدارة العظمى المؤرخ في ٢٣ رجب سنة ١٢٨١ الذي اتيتم به لما وجهناكم في ذلك العهد للدولة العلية العثمانية ونص ترجمته المبعوث في هذه الوجهة صحبة سعادة خير الدين باشا من المكتوب المشيري شاكرا لاثار الالتفاتات السلطانية في خصوص الوقائع المكدرة الاخيرة التي وقعت في نازلة تونس المحمية ومؤيدا بعهوديتكم وخصوصيتكم البهية مع مكتوبكم المرسل الى هذا المخلص المثني على ذاتكم العلية قد قدمناهما للعتبة السنية الخاقانية وصارا معاومين عند حضرته الملوكية خلده الله تعلى على سرير شوكته وجعله زينة لاريكة عدالته وخلافته التي هي مرجع الانام وملجا الاسلام بحرمة حبيبه الاكرم عليه السلام مدى الدهور والاعوام فانه متخلق بفضل الله بالسجايا التي تستجلب وتستدعي دائما رفاهية حال البرية من تبعة دولته العلية فلذلك يريد ويؤمل سعادة الحال واستراحة البال على الدوام والاستمرار لذاتكم وللمنتسبين الى سلسلتكم العالية وللعباد الذين حسن ادارتهم مودوع بيد حضرتكم السامية وانه ايده الله بعد ما تاثر وتاسف من ظهور ذلك الاختلال قد صار مسرورا من زواله ولله الحمد على وجه السهولة في المدة اليسيرة كما انسر من تعظيمكم قدر قيمة همته العلية ومساعيه المصروفة السنية في اندفاع هذه الحادثة الفجيعة ثم ان السلطنة السنية مرادها الحقيقي ومقصودها القطعي على الوجه المحرر عبارة عما يستوجب بقاء الاستراحة في تونس وارتقاء عمرانها وتاسيس بناء الراحة والامن بها يوما فيوما لاهاليها وتبعتها ولاجل تمام حصول هذا الغرض الذي هو راجع وعائد اليها لا تنقطع عنها الهمة والاعانة في وقت من الاوقات والدليل الجديد العلني على صدق هذا المدعى رافعا ودافعا لما عسى ان يتوهم تقوية الامتيازات القديمة على وجه التجديد رسما وهي الخطبة والسكة يكون كل منهما باسم السلطان كما كانا في القديم لكونهما علامة علنية لارتباط ايالة تونس التي هي من الاجزاء المتممة للممالك العثمانية ارتباطا شرعيا بمقام الخلافة الإسلامية والسنجق يكون شكله ولونه المخصوص به الان باقيا على حاله والمعاملات الارتباطية الجارية مع طرف الدولة العلية الى هذا الوقت تكون مرعية وجارية كما كانت وعلى بقاء هذه الامور ودوامها يكون امر الولاية على طريق الوراثة مخصوصا بسلسلتكم العالية كما كان وتكون انتم مستقلا بالتصرف في الولايات الشرعية والسياسية والعسكرية وفي العزل بمقتضى القوانين الموافقة للعدل وفي الادارة الداخلية لتلك الايالة موافقة للشرع العزيز ومطابقة للقوانين العدلية التي هي كافية لتامين الانفس والإموال والاعراض وموافقة لمقتضيات الوقت والزمان ومرخصا في المعاملات المعلومة مع الدول

المتحابة كما كان وكذلك للمتولي ان يبعث ويطلب الفرمان العالي ويعطى له على العادة هذا ومهما وقع الاستدعاء والطلب من جنابكم السامي لصدور الامر العالي والفرمان الخاقاني فيما ذكر من الامور كلها المقررة اعلاه يصدر لكم حسبما صدر الاذن العالي بذلك وبحسب المامورية تسارعنا لبيان هذا الحال لجنابكم بكل سرور يكون معلومكم ذلك وباطلاعكم على هذا المكتوب الدال على الخصوصية وبما يقرره لجنابكم خير الدين باشا شفاها يتبين لكم ان نية السلطنة العلية منحصرة في الاصلاح والتاييد لايالة تونس ولذاتكم السامية ومقصورة على تخليص الرابطة القديمة والتابعية الممتازة بمقر الخلافة العلية ومنع ما يوجب دخول الخلل والتنافر ويحصل لكم الجزم واليقين بها ولا اشتباه في انكم تستجلبون دائما محاسن انظار حضرة سلطان الاسلام التي توجب سلامة الدارين وتستوجب ذكر الخير لحضرتكم مدى الاعوام فلذلك اكتفينا بتحرير هذا القدر ورفعنا دعاءكم الى محل الاستجابة فليكن ما كتبناه رهين علمكم العالي والامر كله لمن له الامر . انتهى

وقد طلبنا فيما سلف الفرمان المشار اليه به فورد كتاب الصدارة المؤرخ في ٢٢ جمادى الثانية سنة ١٢٨٢ متضمنا ان ليس تاخير ارساله ناشيا عن تاخير المطلب او تركه بل المقصد تسهيل اجرائه ثم لما طلبناه عام التاريخ ورد جواب الصدر الاعظم المؤرخ في ٢٨ ربيع الثاني سنة ١٢٨٨ متضمنا ان هذا المقصد المهم لا يتاتى بالرسائل والمكاتيب ولا يكون الا بارسال من يعتمد للمذاكرة في تاسيس ما به الامتياز المطلوب والادارة والمعاملات الاتية وتسويتها بالاتفاق حسبما ذلك كله على علم منكم وتتذكرونه من النسخ التي اخرجت لكم من المكاتيب المتعلقة بالنازلة وبناء على ما تضمنه كتاب الصدارة العظمى سمحنا بتوجهكم بامن الله تعلى وسلامته الى الدولة العلية العثمانية وكاتبناها بما علمتم طالبين منها الفرمان المذكور وكتبنا لكم امرنا المؤرخ بالعشرين من شهر التاريخ بناء على ما تضمنه المكاتيب الواردة من جناب الصدارة العظمى بان الفرمان حاضر وقت ما نطلبه ولما كان من المحتمل ان المقصود من طلب توجيه من ذكر ان يطلبوا شيئا زائدا على ما تضمنه كتاب الصدارة المضمن اعلاه كتبنا لكم امرنا المؤرخ بيوم التاريخ في التفويض لكم فيما تضمنه واستوعبنا في هذا ما يمكن ان تطلبه الدولة العلية نظراً لما سبق من الكلام في ذلك وما يمكن الاسعاف عليه من جهتنا لتوافق عليه بمقتضى امر التفويض المذكور وما لا يمكن الاسعاف عليه بحيث انه اذا لم يصدر الفرمان المشار اليه بمكتوب الصدارة اعلاه وتوقف على فصل او على الفصول التي يمكن فيها الاسعاف بمقتضى هذا فانك توافق عليها بموجب امر التفويض نظرا لحصول المصلحة المقصودة من الفرمان المذكور واما اذا توقف صدوره على ما لا يمكن الاسعاف له بمقتضى هذا فانك لا توافق على ذلك والفصول المشار اليها - ١ - هي انهم اذا طلبوا توجه من يتولى لمركز الخلافة فالجواب انه لا يمتنع - ٢ - واذا طلبوا ان الخلطة السياسية وما يقع من الخلاف بين الايالة والدول الاجنبية يكون بواسطة سفراء الدولة فالجواب انه اذا بلغت النازلة الى ما يمس اصول السياسة المعبر .

الشرف الحسيني بالقيروان
— ٢ —

بقلم الفاضل المؤرخ الشيخ محمد طـراد

سبب شهادة العشرة في وثيقة الشرف

ان بني عبيد الولاة في ذلك الوقت مذهبهم اذ ذاك هو مذهب الامامية فيما بعد الذين يرون ان من تنقص شريفا يكون مباح الدم ومع ذلك ينتقصون كثيرا من عظماء الصحابة والخلفاء الراشدين كالشيخين ابي بكر وعمر رضي الله عنهما .

ففي المواسم التي يكثر فيها الواردون على القيروان من قراها وضواحيها وبقية مدن القطر الافريقي يعمدون الى رؤوس الحيوانات المذبوحة في ذلك الموسم وبالاخص موسم عاشوراء فيعلقون من تلك الرؤوس على الحيطان المرتفعة ويكتبون في قراطيس توضع عليها اسماء بعض الصحابة تشهيرا لانتقاصهم .

ويبعثون دعاة ينشرون مذهبهم بين العامة فيعارضهم العلماء السنيون ويناظرونهم في ذلك ويبكتونهم

عنها (بدروا انترناسيونال) فان الواسطة بين من ذكرهم السفراء -٣- واذا طلبوا ان الشروط التي تقع بين الايالة والدول الاجنبية تتوقف على الامضاء من السلطان فالجواب ان الشروط السياسية التي تمس حقوق السلطان في هذه المملكة لا تكون الا بموافقته واما الشروط المتجرية وغيرها من المعاملات مع الدول ورعاياهم فانها على العادة ولا تتوقف على الموافقة -٤- واذا طلبوا ان يكون تقديم من يرسل من الايالة للدول الاجنبية في المراسلات الودادية بواسطة سفراء الدولة فالجواب ان ما يتعلق باصول السياسة المعبر عنها بدروا انترناسيونال فانها لاتكون الا بواسطة من ذكر واما ما عدا ذلك من الخلطة الودادية وغيرها فانها على العادة -٥- واذا طلبوا ترجيع السكة على عادتها اي بحذف ما زيد فيها فالجواب انه لا مانع -٦- واذا طلبوا ان تكون ادارة المملكة واحكامها على اصول كافية للادارة مطابقة للعدل ولعادات البلاد وسياسة اهلها فالجواب انه لا مانع من ذلك وكذلك -٧- اذا طلبوا الالتزام باعانة الدولة اعانة حربية عندما يعرض للدولة حرب مهم فالجواب انه لا مانع من ذلك اما اذا طلبوا ابطال اعطاء النواشن للدول الاجنبية او اداء مبلغ من المال فانه لا تتيسر الموافقة على ذلك حررنا لكم ما ذكر لتعتمده في وجهتك المباركة ونعتمد على الله سبحانه وتعلى في اعانتكم وتسديد عملكم ونجحه على ما نعلمه من وفائكم وامانتكم وكفاءتكم بحول الله تعلى وقوته والله تعلى يمدكم بعونه والسلام من الفقير الى ربه تعلى عبده المشير محمد الصادق باشا باي وفقه الله تعلى وكتب يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من جمادى الثانية سنة ١٢٨٨ ثمان وثمانين ومائتين والف .

مصطفى
صح من محمد الصادق باي
(الطابع السعيد)

ولا تسال عن تعذيب من يخالفهم بانواع من العذاب لم يسبقوا اليه من ذلك قصة عروس المؤذن الذي لم يزد في اذانه : حي على خير العمل اذ قطعوا لسانه وجعل بين عينيه وطيف به وقتل بالمرضاخ سنة ٣١٧ الى غير ذلك من افاعيلهم المنكرة التي يضيق عنها مجلد خاص .

وفقهاء القيروان لم يطيقوا الصبر والتحمل فيغيرون عليهم في كل مجالسهم واغضب ذلك بني عبيد حتى أجبروهم على ابطال دروسهم للعامة وصار قوادهم بالمرصاد من علماء السنة .

ومع ذلك لم ينفك الفقهاء من الارشاد والاستهداف لاخطارهم وتداول الفقهاء البحث فيما بينهم في امر بني عبيد فرأوا باتفاق جميعهم ان الخروج على بني عبيد امر واجب ولو مع ابي يزيد الخارجي لان الخوارج هم من اهل القبلة لم يزل عنهم الاسلام فيرثون ويورثون . وبنو عبيد ليسوا كذلك لانهم مجوس زال عنهم اسم المسلمين فلا يتوارثون معهم ولا ينتسبون اليهم وقدر ان اتى ابو قضاعة داعية بني عبيد الى القيروان وحضر مجلس عقد نكاح وحضره كثير من هؤلاء الفقهاء وجماعة مشارقة من شيع العبيديين وعلى مذهبهم وكان بالقرب من ربيع القطان احد اولئك الفقهاء ابو قضاعة المذكور فاتى رجل من اعظم المشارقه فقام اليه رجل منهم وقال الى هنا يا سيدي الى جانب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني أبا قضاعة ويشير بيده اليه فانكر الفقهاء ذلك وكثرت اجتماعاتهم في الجامع وفي المصلى وفي غيرهما لاعمال رايهم في الامر واخيرا اتفقوا على قتالهم والخروج عليهم .

وفي رجب من عام ٣٣١ تاريخ الوثيقة اجتمعوا في الجامع وقرروا الخروج وعقدوا سبعة الوية لكل فقيه من زعمائهم لواء وركزوها قبالة مسجد الحدادين بما فهم منه ان خروجهم كان من باب نافع وهو احد ابواب المدينة الثنتي عشرة وهو بالجهة الشرقية ويخرج منه لمقبرة باب نافع التي هي مقبرة سحنون اليوم اذ سوق الحدادين كان هنالك . وتوجهوا قاصدين المهدية مع ابي يزيد الخارجي الذي مكر بهم في هاته الواقعة ووقع بينهم القتال خارج المهدية بالمحل المعروف بالوادي المالح وسميت الواقعة باسم هذا الوادي . وحيث ان العبيديين يدعون انهم فاطميون ولم يثبت ذلك عند الفقهاء وكثير من علماء النسب وألف بعضهم في ذلك تاليفا وان اثبت ابن خلدون لهم هاته الدعوى وقال جادلت عنهم في الدنيا وارجو ان يجادلوا عني يوم القيامة . فان فقهاء القيروان لم يقفوا عند حد هزيمتهم في واقعة الوادي المالح ومكر ابي يزيد بهم . وكان من بين القيروانيين بيت ابن عوانة المشهورة بالشرف الحسيني والعلم والامانة والفقه والصلاح حسبما صرح بذلك في الوثيقة فانهم جعلوا تلك الوثيقة وشهد لهم فيها اولئك العلماء العشرة

وحيث لم يحصل لهم المقصود من جعلها بقيت من تاريخها لم تخرج منها نسخة الا بعد استقرار الدولة الموحدية ورسوخ قدم بني حفص فاخرجت منها النسخ المتقدم ذكرها للتوصل لاخذ بني عوانة حقوقهم الهاشمية من بيت المال ومن الاحباس الموقوفة من الاسلاف القيروانيين رحمهم الله وجازاهم عن برهم على ارفاق واعانة اهل الفضل وهو وقف المرتفقات المعروف الى اليوم زيادة عن اوقاف الفقراء المحبس على فقراء القيروان واوقاف مارستانات المرضى بالامراض المعضلة والمعدية واوقاف السجن واوقاف الزيت والاكواز التي تنكسر ويراق زيتها للصبيان الذين يرسلهم اباءهم عشية لذلك الى غير ذلك من اوقاف اوجه البر ومحتها يد السنين من لوحة العمل بها وان بقي الكثير منها الى اليوم في تصرف جمعية الاوقاف .

واضع بين اعين القراء هاته الوثيقة التي اقيمت عام ٨٠٢ ونصها :

بعد طالعتها يعرف شهوده الشيخ الفقيه المكرم ابا عبد الله محمد المذكور اعلاه (اي اعلا النسخة من الوثيقة العوانية) واولاده ابا الحجاج يوسف وابا عبد الله محمدا وابا محمد عبد الله وابا اسحاق ابراهيم وابا مروان عبد الملك وابا العباس احمد معرفة تامة ويشهدون انه هو واولاده ضعفاء التكسب قليلوا ذات اليد ممن تجب مواساتهم محتاجين لارفاق المرفقين واحسان المحسنين تبركا وتوسلا بذلك لنسبهم الشريف الكريم ابتغاء ثواب الله الجسيم العظيم وخصوصا بارفاق المقام العلي المولوي السلطاني المتوكلي المنصوري المؤيدي المجاهدي وفر الله جنودهم ونصر اعوانهم وجيوشهم تبركا بجدهم المرجو شفاعته يوم الحساب رجاء ثواب الله سبحانه وحسن المئاب بهذه الحالة عرفهم شهوده وبها خبروهم وقيدوا على ذلك شهادتهم لسائلها بتاريخ اواخر شهر شوال عام اثنين وثمانمائة وبان نعت الشريف المذكور حسن القد صوب الجسم ازهر اللون يعلوه صفرة خفيفة كهل السن اجبه املج الحاجبين اصلع صليت العارضين بتغير مقدم اللحية اشمط الشعر بجبهته اثر جرح برئي وعفا اصفى الجوهرة اليمنى والثانية التي تليها فمن عاين من حلية الشريف المذكور ما حلي به ووصف به قيد على ذلك شهادته في التاريخ المذكور ويلي ذلك اسماء العدول الشاهدين بذلك معتودة اسماءهم على الكيفية المعهودة في عقودهم في تلك العصور بحيث تقرا اسم العاقد من عقده على هاته الكيفية وهم :

محمد بن محمد بن ابي القاسم بن احمد الشقانصي — ومحمد بن ابي بكر بن علي الفاسي — واحمد بن محمد بن ابراهيم الحنضلي — ومحمد بن عبد العزيز بن رجال الربعي — ومحمد بن عبد الواحد بن عبد السلام الدهماني — ومحمد بن عياد بن موسى الحضرمي — وعمر بن عبد الرحمان بن عمر الدهماني وعمر بن ابراهيم المسراتي — واحمد بن يوسف بن عيسى الترهوني — واحمد بن عبد الوهاب بن خليفة بن محمود البيري .

ومما يناسب ذكره هنا تتميما للفائدة ولمعرفة درجة التوثيق في تلك العصور وتحري العدول في شهاداتهم انهم ذكروا في رسم بعد هذا الرسم مؤرخ باواخر رجب عام ٨٣٧ صفة حفيد من هاته السلسلة وهو الفقيه محمد بن الكاتب محمد ابن العدل يوسف واوصلوه بالسلسلة المذكورة وان من صفته شاب السن غير ملتحي كبير الوجه ادم اللون بين ثناياه السفلى فلجة متسعة اقنى ابلج اغم افلج الثنايا العليا وانهم قيدوا على ذلك شهادتهم للحاجة اليها خوف التلبيس ممن يشتبه عليه وينتسب لنسبه والتحوط على هذا النسب الشريف العلي ولكونه متصفا به وحائزا له الخ شهد به خليفة بن ناجي واحمد التوزاني المتقدم ذكرهما وشهد به في اواخر رمضان عام ٨٤٠ عبد الله بن ابي القاسم الشقانصي وابراهيم بن محمد بن عبد الله بن عوانة الحسيني وشهد به في تاسع شعبان عام ٨٤٤ من غير تحقق انه اشم وليس باقنى وهو الى الشم اقرب احمد بن عمر بن ابراهيم بن محمد بن عمران المسراتي

فتأمل رعاك الله كيف كانت العدول وتحريهم في شهاداتهم وفي تحاريرهم ومن هم هؤلاء العدول وهل هم الا فقهاء بمعنى الكلمة فصحاء لا تصدر منهم كلمة على غير القواعد العربية والطرائق البلاغية اقلهم يصلح لقضاء العواصم اليوم وما قبله اما اليوم فقد اختلط الحابل بالنابل

لقد هزلت حتى بدا من هزالها كلاها وحتى سامها كل مفلس

يتبع

محمد

الصادق الامين المبعوث رحمة لعامة الناس اجمعين

بقلم العالم المدرس الشيخ الطاهر النيفر

منذ ثلاثة عشر قرنا ونيف وخمسين سنة وكتائب اعداء الاسلام توالي هجماتها نحو هذا الدين المحكمة دعائمه بكل ما لديها من قوة وتكتل وحزم ومواصلة عمل وهو كالجبل الراسي لا تقوى على زعزعته اعاصير الايام ولا عواصف الليالي . وذلك بفضل سماحة تعاليمه وما ضمنه للبشر من سعادة ورغد عيش فهو الذي يعلمهم النظام ويفهمهم معنى الاخوة وما تنطوي عليه من هناء وسعادة ويرشدهم لما في توحيد الكلمة وجمع القوى من سمو وبلوغ آمال وهو الذي يسوي بين ضعيفهم وقويهم امام الحق وينشر على الجميع لواء الحرية الحقة بكل ما في معنى الكلمة من سمو ورفعة

بهذا وغيره من فضائله التي لا تكاد تحصى لم تزده مهاجمة اعدائه وتقادم العصور عليه الا شيوعا وانتشارا وها هو يتوغل اليوم في قارات المعمورة وتظهر متانته وعجائب اسراره كلما تقدمت المعارف واتسعت مدارك البشر (سنريهم ءاياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم الحق) فأقلق ذلك اعداءه والمناوين له واصبحوا يغزون المسلمين في عقر بيوتهم ويحاربونهم في عقيدتهم سالكين للتاثير على البسطاء ممن جهلوا تعاليمه (وهم في هاته الاعصر كثيرون ويا للاسف) مسالك شتى

لكن ابى الله الا ان تكون اسلحتهم في هذا الميدان مفلولة وعملهم ضائعا لم يأت بنتيجة وان قلت ولا ينبغي ان يكون ما لاقاه هؤلاء من الاعراض وما صادفته سلعتهم من البوار فاتا في سواعدنا عن كشف استار اباطيلهم وما جاءوا به من ترهات الاضاليل . فانا ان امنا على هذا الجيل من الانخداع لهؤلاء الابالسة فلا نامن على بعض ابناء الاجيال القادمة من ان تصادف شبهاتهم بعض الضعف في نفوسهم خصوصا انا اصبحنا نشاهد والاسف يملا ما بين جوانحنا ابناءنا يبتعدون شيئا فشيئا عن تعاليم الاسلام ويتوغلون رويدا رويدا في الجهل باسراره وفضائله

اذا فواجبكم يا حماة الدين المحمدي شيوخا وشبانا ان تقفوا وقوف الرجل الواحد في وجه هاته الكتائب المسلحة التي وجدت المجال فسيحا لبث سمومها والطعن بحرابها في ربوعنا الاسلامية التي توالت عليها النكبات وتعددت بها المصائب لاسباب يحمل البعض منها على كواهلنا .

فقوموا بواجبكم نحو هذا الدين الذي وكلت لكم حمايته حتى تؤدون الرسالة التي ائتمنكم الله عليها واستخلفكم من اجلها في الارض بعد انتقال المشرع الاعظم صلواة الله وسلامه عليه فانتم ورثته وخلفاؤه في هذا الامر . ان من اخطر الدعاوي على الاسلام ما يتخرص به بعض هؤلاء المبطلين من

انه دين خاص بالعرب فانهم يتظاهرون بتسليم رسالته صلى الله عليه وسلم وبتصديقه فيما جاء به الا انهم يدعون انه ارسل الى العرب خاصة ولم تشمل رسالتـه الامم الاخرى وبذلك يستديمون حياة شريعتي موسى وعيسى ويامنون عليهما من ان تصيبهما الشريعة المحمدية بمعول التقويض والازالة

ولم يقف اعداء الاسلام في وجه انتشاره بمثل هذا السلاح المفلول من اليوم بل هي شنشنة قال بها اصحاب ابي عيسى الاصبهاني من اليهود منذ امد بعيد ولكنها من اشد الدعايات خطـورة عليه لانها لا تثير غضب البسطاء ممن تلقى عليهم من أهله ابتداء ومن اول الامر فانهم يبادرونهم بالاقرار بصحة عقيدتهم في رسالة سيدنا محمد وبتصديقه فيما جاء به حتى اذا رأوا منهم الاستيناس بهم والاستماع لاقوالهم وصلوا بهم الى الغاية المقصودة اعني ادعاء قصر رسالته على العرب ولربما تمكنوا بسبب هذا السلوك الذي لا تثير الغضب والاعراض عن الحديث من اصله من القاء بعض الريب في نفوس بسطاء مستمعيهم

وجدير بنا ان نلم موجزين بحالة العالم باسره قبـل بزوغ الشمس المحمدية لتعلم الضرورة التي دعت لمنقذ البشرية المعذبة فقد تقطعت اوصالها وانتهكت حرماتهـا وديست عقـائدها وابيحت اعراضها واستحلت اموالها ودمـاؤها واكل قويهـا ضعيفها بعـد ان امعن في استعباده وتسخير جهوده لا في مقابلة شيء . ولم تكن هاته الويلات والامراض الاجتماعية مقصورة على امـة دون اخرى بل عمت سائر امم المعمورة فهاته امة الفرس العريقة في الحضارة والمدنية قد اثرت فيها اذ ذاك الحروب المتوالية مع الرومان للتحصيل على سيادة العالم ويرجع تاريخ التعادي بين الامتين الى ما قبل القرن الخامس وقد استمرت دواليك وكانت سجالا من سنة ٦١٠ الى ان ختمت في سنة ٦٢٧ بانهزام الفرس الهزيمة الاخيرة والشنعاء التي افضت ببلوغ جنود الرومان نينوى عاصمة الاشروبيين قديما فظهرت بدولة الفرس مخايل الانحلال السياسي واشتد بهـا الهزال وعمتها الفوضى حتى اصبح الملك لا يلبث على دستـه الا زمنا قليلا فتثور عليه ثائرة البعض من رعاياه ويفضي الامر الى انزالـه ووضع آخر مكانه وهكذا يصاب بمثل مـا اصيب به الاول فقد قام خلال اربع سنين تسعة من ملوكهم كل واحد منهم يدعى الملك ثم لا يلبث ان تزل به قدماه وكفاك هذا التفرق والضعف في الدولة دليلا على انحلال وحدة الامة وتفرق كلمتها زد على ذلك ما اصابها من الظلال في العقيدة والتدهور في الاخلاق من اجل تشعب المذاهب الدينية فهؤلاء يعبدون الكواكب وينسبون لها التاثير على العالم وآخرون يعتقدون في الوقاية بالطلاسم والعزائم وينخدعون للسحور والشعوذة واولئـك يتبعون ما اختلقه زرادشت من المذهب المجوسي الذي يجعل للعالم الاهين احدهما للخير ويسميه يهرمز وعنوانه النور والآخر للشر ويسميه بهريمان ويرمز له بالظلمة ويدعي ان ما من امر محبـوب الا وهو من صنيع الاول وما من امر مكروه الا وهو من صنيع الثاني ولذا كان اتباع هذا المذهب يعبدون النيران التي يؤججونها في رؤوس الجبال لانهـا رمز الاه الخير ثم زاد الطين بلـه وعظمت عليهم البلية وبلغ بها

الضلال والتدهور الاخلاقي المتهى لما جاءهم اللعين مزدك مدعيا ان الله بعثه ليأمر باباحة النساء والاموال بين الناس جميعا لانهم اخوة من اصل واحد وبذلك جرى من الظلم والجور وانتهاك الحرمات والاعراض واباحة الفروج واختلاط الانساب ما لايحيط به التعبير الا ان كسرى وان اباد هذا المذهب وقتل داعيته واتباعه لكنه لم يكن في مقدوره ان يبيد ما علق بالنقوس منه من السقوط الخلقي والاثر المذموم .

اما امبراطورية الرومان فلم يكن حظها اذ ذاك باسعد من حظ اختها فان كثرة الحروب مع الفرس وانغماس القياصرة في اللهو والمجون وافراطهم في تبذير اموال الرعية واغداقها على الاشراف واهل المناصب من البطارقة قد احدث ضائقة اقتصادية وضعفا عظيما في الثروة العامة وكثرت بسببها الضرائب وثقل حملها على الامة بعد ان ابتزت حتى اموال الكنائس وما كان مدخرا بها من الذهب لمحاربة الفرس في سنة ٦١٠ فكان من نتيجة هاته السياسة التي يراد منها اشباع الكبراء والسادة وتوفير العطاء لهم ولو افضي الامر الى تفقير العامة واهل الولايات التابعة لسلطانهم فكان من نتيجة ذلك كله ان شقت هاته الولايات عصا الطاعة تخلصا من مظالم هؤلاء الحكام وجشعهم المستديم ودبت في اجزاء الامبراطورية عقارب الانحلال مع ما اثرته هاتيك الحروب الهائلة فيها من الضعف وعمت الفوضى السياسة جميع المناصب الدولية حتى اصبح الملك يعطي لمن زاد في العطا وهاته الحالة وان اراد اصلاحها دقلدتانوس ومزجاء بعده الا انهم لم يتم لهم النجاح كله وقضى عليه تشعب المذاهب الدينية فقد قام اتباع كل مذهب بحرب عوان دفاعا على معتقدهم فعمت الفوضى الامور الدينية كما استولت من قبل على المناصب الحكومية واصبحت الامة على شفا جرف هار تنتابها الفوضى في المعتقدات والسياسة وتاكل وحدتها نار الفتنة الداخلية والخارجية وياتي على تبذير اموالها تصرفات كبرائها وتكالبهم على موجبات الترفه واسباب الزينة ونعيم الحياة وتكون من مجموع ذلك تدهور في الاخلاق عظيم يضاف الى ذلك كله معاداة اليهود لهم الذي بلغ منتهاه في زمن هرقل فقد بلغ من تنكيل اليهود بهم ان اشتروا من الفرس ثمانين الف اسير من الروح وذبحوهم عن آخرهم وقد قاموا نحوهم يعاملونهم بالمثل فقرروا منع اليهود من اقامة شعائرهم الدينية بل الغوا الديانة اليهودية رسميا من بلادهم واجروا عليهم من الشدائد ما لا يوصف وبذلك تعلم ايضا ما كان عليه اليهود اذ ذاك من التدهور الاخلاقي والقسوة والظلم وما اصيبوا به من التعذيب والتنكيل .

اما امة الهند فلم تنج هي بدورها ايضا من السقوط الخلقي والضلال في المعتقد فقد انتشر بينهم المذهب الاباحي وعم الفروج والاموال وبلغ الفحش فيهم منتهاه حتى كان الكاهن عندهم يختص بالعروس في ايامها الاولى لينشر عليها وعلى زوجها البركة والنعمة وهم يدعون جهرة الى المنكرات باناشيد يرددونها في الاجتماعات العامة .

أما الامة العربية فانها رغم ما كانت عليه من الكمال الخلقي في بعض النواحي لم تكن سليمة من مثل هاته الامراض الاجتماعية الفتاكة فهم لا يأوون الى دعوة يعتصمون بها ولا الى ظل الفة يعتمدون على عزتها فما شئت من ارحام مقطوعة وغارات مشنونة واصنام معبودة وبنات موؤدة فكانت الحرب بين القبائل لا تكاد تضع اوزارها ومنهم من اتخذ الغارة موردا لعيشه

ليس هناك ما يجمع كلمتهم او يوحد جهودهم فلا يعرفون للدولة تكوينا الا من قل من بعض المتحضرين منهم ولا يدركون للعلاقات السياسية معنى فكل قبيلة تقوم بنفسها وتجمع امرها لتشن الغارة على الاخرى . اما حالتهم الاقتصادية فهي ادهى وامر فزيادة على جدب اراضيهم قد استغل المال بعض اهل الطبقة العليا منهم وابتزوا اموال الضعفاء بانواع من المظالم ما انزل الله بها من سلطان وعمل الربا الفاحش في تفقيرهم عمله المشئوم حتى اصبح موردا ثانيا بمكة بعد التجارة وحسبوه لا فرق بينه وبين التجارة (قالوا إنما البيع مثل الربا) وقد بلغت بهم الشدة والقسوة في هذا الباب المنتهى فحملوا المدينين على اكراه فتياتهم على البغاء (ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا) وتكالبوا على جمع المال من أي وجه كان فكانوا كما وصفهم القرآن بقوله (اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون) فاخذت الديون برقاب الناس حتى كانت النصارى منهم يجعلون المدين عبدا مملوكا للدائن بسبب الدين الذي عليه ولم تخل حالتهم الخلقية في النواحي الاخرى من بعض الشين فعم فيهم الخمر والنصب والمقامرة خصوصا عند ابناء السراة منهم ووجد السلب والنهب فيهم وعملت العصبية كل ما في طوقها من الظلم والتعدي وعظم في نفوسهم حب الانتقام حتى كانت النساء لا يرضين بسوى صبغ ملابسهن بدم القتيل واكل قلبه وكبده اما ظلمهم للضعفاء واستعبادهم للارقاء فحدث عن البحر ولا حرج

ولا تسأل عن ضلالهم في الاعتقاد فقد ضجت منه السموات والارض فمنهم من تاول الاله ببعض الحيوان ومنهم من تمثله في الكواكب ومنهم من حسبه في الاشجار والاحجار اوقطع الحلوى تعالى الله عما يشركون

ومع هذا كله فلم تخل الامة العربية من افذاذ وحدوا الله ونزهوه عن التشريك وادركوا ما كان عليه قومهم من البغي والضلال وانذروهم بسوء العاقبة ووخامة المنقلب كما هبوا لانقاذهم من الظلم والعدوان بما استطاعوه من قوة وما حلف الفضول الذي عقد بمكة وحضره النبي صلى الله عليه وسلم عنكم بخاف كما قام الشعراء بنصيبهم في هذا المضمار قصد التاثير عليهم فهم عندهم بمنزلة الزعماء والمصلحين في بقية الامم الاخرى قال الاعشى

تبيتون في المشتى ملاء بطونكم ... وجاراتكم غرثى يبتن خمائصا

الا ان هاته المنازع الاصلاحية التي قام بها البعض منهم لم تكن كافية لردع جميعهم عن الشر والطغيان فهما اللذان طبعت عليهما نفوسهم منذ نعومة اظفارهم

ولذا كان العقلاء منهم كورقة بن نوفل وعبد المطلب بن هاشم وامية بن ابي الصلت يتكهنــون بانه قد اقترب ان يبعث في هذا العالم نبيء ليخلصه من هذا الشقاء الذي خيم عليـه في شتى نــواحيه جريا على ما علموه من سنة الله تعالى من قبل فان الضلال والتدهور قد بلغا بالناس الغاية

اذا علمت هذا فهل كانت الامة العربية فقط في حالة تدعو لارسال منقذ لها يخلصها مما انغمست فيه من ضلال وفساد ام كانت حالة الشعوب كلها في ذلك سواسية فما منها الا ما تدعو حالته للانقـاذ ؟

لا شك ان من علم هذا ووعاه ايقن بان حالة الشعوب كلها اذ ذاك كانت داعية لمنقـذ ياخذ بيـد جميعها الى طريق الفلاح ويضيء دياجيرها بنور الحق والعدل

اذا فكيف يدعى بعد هذا ان الرسالة المحمدية خاصة بالعرب مع ان حالة العالم كله اذ ذاك داعية لانقاذ البشريه المعذبة فهل ان الامة العربية هي اولى عند الله بالانقاذ والرعاية من بقية البشر ؟ كلا ثم كلا

البشر كله عند خالقه سواء لا يرتضي له الا السعادة ورغد العيش وانما خصت الدعوة بالنسبة لبقية الرسل لان الداعي لرسالتهم انما هو امر معين لم يحط الا بالامة التي بعثوا فيها

فموسى عليه السلام بعث لتخليص بني اسرائل من ظلم فرعون وجنوده وهو ظلم لم ينزل الا ببني اسرائل خاصة فان المصريين اذ ذاك كانوا ذوي قدم راسخة في العلوم والمدنية ولهم نصيب وافر من الاخلاق الكاملة فارسل موسى اليهم لتخليص بني اسرائيل من ظلم فرعون وقومه . وكانت رسالـة عيسى عليه السلام خاصة بقومه لانه بعث لانقاذهم من الرذائـل التي انغمسوا فيها وليصلح نفوسهم مما تأصل فيها من ضروب الفساد وهو امر خاص بقومه اذ ذاك فقد كانت الحضارة الرومانية في ذلك العهد بالغة متنهاها اما قبل بعث سيد البشر فقد تاصل الفساد في البشر قاطبة وذلك ما دعا لتعميم الرسالة بفضل حكمته جل من خالق ورافته بعبيده ولا يسع اي كائن من كان انكار هذا الامر الذي اثبته التاريخ الصحيح وحكم بمقتضاه العقل السليم الذي لم يحجبه التعصب الاعمى

ولنسق لك بعد هذا من كلام الله تعالى وكلام النبوة وسيرة الرسول ما لا يبقي معه مجال لانكار هذا المدعي الاثيم فمثل هذا مما تقوم به الحجة على الخصم لانه يسلم صحة رسالته ويثبت له الصدق ويسلم بالتبع لذلك حجية اعماله

اما ادلة ذلك من الكتاب فاكثر من ان تحصى منها قـوله تعالى (وما ارسلنك الا كافـة للناس بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون) ومنها قوله جل من قائل (قل يايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا) ومنها قوله جل جلاله (ماكان محمدا ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين) وهي في السنة لا تقل عن ذلك كثرة منها قوله صلى الله عليه وسلم (بعثت للناس كافة) الحديث ومـا محاربته صلى الله عليه وسلم ليهود خيبر الامن ادلة ذلك فهل يتناسب مع صدق الرسول ومـا ارسل به من العدل واقامة قسطاسه بين الناس ان يحارب قوما من اجل عدم اتباعهم لاحكامه والحال انـه لم يرسل اليهم ومن اظهر الادلة على عمـوم رسالته صلى الله عليه وسلم . الكتب التي ارسلهـا لغالب

عظماء الامم يدعوهم بها الى الاسلام . فقد اسرل حاطب بن ابي بلتعه الى المقوقس صاحب الاسكندرية وابن وهب الى الحارث بن ابي شمر الغساني عامل قيصر على غسان بالشام ودحية الكلبي الى قيصر وهو يومئذ هرقل ملك الروم وصليت بن عمر الى هوذة بن عمرو الحنفي وعمر بن امية الى النجاشي وعبد الله بن حذافة الى كسرى ملك الفرس وكان ارسال هؤلاء جميعا في يوم واحد سنة ٩ هجرية كما ارسل غيرهم لغير هؤلاء فهلا يستحي بعد هذا من يدعي عدم العموم في رسالته

ولا نريد ان نلوي عنان القلم عن هذا الموضوع قبل ان نجيب عما عسى ان يورده الخصم في هذا المقام من ان رسالته صلى الله عليه وسلم اذا كانت عامة فلماذا اختير لها عربي وبذلك وقع الخروج عما جرت به سنة الارسال . ولماذا كان البعث في مكة مع ان البلاد الاخرى كفارس وارض الرومان هي اكثر مدنية واستعدادا لتلقي النظام وتفهم احكامه او ليس من اللائق برسالة كهاته أن تكون بين قوم قلبوا الحياة ظهرا لبطن وعلموا اسباب السعادة وموجبات الانحطاط ؟

وانا نجيب عن هذا بان الداعي لجعل الرسالة العامة في العرب امران أولهما ان رسالة كهاته ستفاجيء العالم كله بتسفيه احلامه وتضليل آبائه وتحويله بعد التفرق الى الالفة وبعد الشقاق والتطاحن الى الايخاء والاتحاد وتعمد الى القياصرة والملوك الذين الهوا انفسهم من دون الله فتسويهم بالسوقة من رعاياهم امام الاحكام والقضاء وتجعلهم سواسيه لافضل لاحدهم على الآخر الا بالتقوى وتقتلع من نفوس البشر قاطبة ما الفوه من الطباع لتضع في مكانها ما يناقضها على خط مستقيم رسالة كهاته امرها ليس بالهين ونجاحها ليس بالسهل فان الرسالات الاخرى التي تقدمتها ولم تقاوم الا شعبا واحدا فحسب لم يفلح غالبها ولاقى اصحابها جميعا كل اذى ومكروه ومنهم من قتل في سبيلها .

اذا فلا بد لها من انصار اهل عزيمة وثبات واصحاب بطش وقوة جاش وصبر على ملاقاة الاهوال والشدائد ذوي عصبية يستميتون في الدفاع عن بعضهم من اجلها حتى تتمكن الرسالة من الثبات امام العواصف الهوجاء التي ستلاقيها من كل حدب بمعونة هؤلاء المدافعين الاشداء الذين تدعوهم حميتهم المقدمة عندهم على كل اعتبار آخر للدفاع عن صاحبها وان كانوا غير مقتنعين بصحة رسالته

ولم تجتمع هاته الصفات في غير الامة العربية وقد استفادت الدعوة المحمدية بالفعل من هاته الصفات العربية في اول نشأتها فقد وجد صلى الله عليه وسلم من حماية عمه ابي طالب في صدر البعثة ما تمكن معه من القيام بواجبه على اكمل وجه كما وجد بعد ذلك لما اشتدت مناوات قريش له من بني هاشم والمطلب التعهد التام بحمايته من الشر لا فرق بين مسلمهم وكافرهم وما دعاهم الى ذلك الا حميتهم التي يجعلونها فوق كل شيء .

الامر الثاني : ان الاسلام قد جاء بتقرير كثير من الاخلاق العربية الكاملة التي كادت ان تنفرد بها الامة العربية من بين سائر الامم الاخرى فهي اذا اكثر قابلية للشريعة الاسلامية الملائمة لبعض اخلاقها وطباعها فيكون انتشارها فيها اذا ظهرت اسرع من انتشارها في بقية الامم ومتى انتشرت فيهم لاقت من حميتهم وشدتهم في الدفاع ما يثبت به قدمها امام القوة المعارضة . وقد تم هذا بالفعل ورأينا من فضائلهم بعد ذلك في نصرة هذا الدين وتفانيهم في الدفاع عنه وخدمته وخدمة من جاء به صلى الله عليه وسلم . ما لم نر مثله من بقية الامم الاخرى بعد دخولها في الاسلام وبذلك تم ما اراده الله وارتضاه

تأثير الادب في رقي الامم

بقلم أمير البيان عطوفة شكيب ارسلان

حياة الامم كحياة الافراد عبارة عن مسابقة شاقة ينال فيها كل بحسب استعداده وعلى قدر اجتهاده ومن حيث اننا نتكلم الآن على الشعوب لا على افراد وعلى الوسائل التي تتوسل بها هذه الشعوب لاجل النهوض من الحضيض الاوهد الى السنام الامجد كان بديهيا ان نقول إن رأس وسائل النجاح في هذه المسابقة هو العلم . ليس في ذلك نزاع ولكن العلم فنون كثيرة لا تكاد تحصى فأي فن من فنون العلم يجب على الامة الناشدة لاسباب الترقي أن تنشده قبل غيره وتبدأ به لتعرج الى العلاء ؟ الجواب هو : الادب . وربما ذهب أناس من المفكرين الى أن رقي الامم يتوقف على العلوم الصحيحة أو ما يسمى بالعلوم الثابتة كالرياضيات او كالطبيعيات وما تفرع منهما وهو كلام من حقه ان يبحث وهو صحيح من حيث المآل ولكن المرحلة الاولى في طريق نجاح الامم هي للادب دون غيره وذلك لان الادب هو ثقاف النفس وصقال الهمة ومثار كوامن العزائم وهو المشتمل على نواحي الحياة الروحية كلها . فالنفس لا تتوق الى المعالي الا بالادب وهو المهماز الاعظم الذي يبعث النفس على الخب في ميدان المجد . ومتى اوجد الادب هذا الشوق الى المجد نشدت الانفس ضواله المتعددة اينما وجدتها ومن أي نوع كان . فكانت العلوم الكونية والمعارف الطبيعية وجميع الاسباب التي لا تترقى الامم الا بها النظم والنثر والزجل والامثال والحكم والقصص والتاريخ والاساطير وكل ما يهز النفس ويروقها ويثير فيها الوجد ويشوقها هي الوان الادب الذي لا مناص للامم التي تبغي العلاء وتتقي الفناء من استيفاء شروطه واستكمال ادواته حتى ترقى معارج المدنية وتتسق لها السعادة في الداخل والسيادة في الخارج .

وبعبارة اخرى العالم مركب من مادة ومعنى . فالمادة جامدة صلدة صامتة لا تعلق لها بالارادة ولذلك فهي تنتظر التصريف من عالم المعنى الذي هو المملكة الروحية القائدة المدبرة المرشدة الآمرة الناهية التي اذا تعلقت ارادتها بشيء مضت تطلب أسبابه المادية . فكان عالم المادة خادما لعالم المعنى خدمة الجسم للروح وكان مقدار هذه الخدمة على نسبة مقدار الارادة وقوتها . فاذا اشتدت الارادة في امر اطاعتها المادة فيه اطاعة بعيدة المدى عميقة الغور . واذا كانت الارادة فيه ضعيفة كانت طاعة المادة للارادة ضعيفة وجاءت خدمتها لها ضئيلة كما نشاهد من احوال الامم اللائي لا يزلن في دور الانحطاط فان استمرار قصورها منشأه الحقيقي فقدها لاسباب الرقي المادية من بخار وزيت وكهرباء وما اشبهها وفقدها لهذه الاسباب انما هو من ضعف ارادة هذه الامم في نشدانها وضعف هذه الارادة انما هو من

ضعف ملكة الادب فيهـا . اذ لو كان ناشئة هذه الامم يقرؤون من الاشعار ما يهز أوتار أعصابهم ويحفظون من الازجال مـا يثير كوامن نفوسهم ويستظهرون من الحكم والامثال ما يوسع دائرة عقولهم ويطالعون من التاريخ ما يفسح آفاق تفكيرهم وما يقوي فيهم الرجاء ويدفع اليأس الى الوراء لكانت الامة ارقى حالا واشد على العلم اقبالا .

وقد يكون للقصص والاساطير ايضا وهي من المنازع الادبية عمل عظيم في انفسهم يسوقهم الى الكمال ويحفزهم الى المثل الاعلى لانه كما تقدم القول عليه لا تتحرك الارادة الا من بعثة روحية وعن نهضة نفسية وهذه انما يقتدح زنادها الادب وتلقح مزنها رياح النظم والنثر وتستنبط ينابيعها مطالعة التواريخ وتنشل كنائنها الازجال والاسجاع والاقوال التي تتسوغها الطباع والامثال التي تهفو اليها الاسماع .

فقولنا اذن إن الادب هو المرحلة الاولى من مراحل الحياة المستراد لمثلها انما هو القول الفصل المنحوت من اصفى مقاطع الحقيقة ولولا ذلك ما قال المؤرخون ان الثورة الفرنسية الكبرى ما كانت لتثور لولا الافكار التي زرعها فولتير وروسو وهما من أساطين الادب . ولما كان كارليل الكاتب الانقليزي يقول نحن الانقليز نرى شكسبير أنفس لدينا من الهند فانّ هذا القول يبدو غريبا لمن لم يتأمله حق التأمل فيقول كيف ان فذا من أفذاذ الانقليز مهما علا في الادب كعبه وملك العقول سلطانه يكون لدى ادباء الانقليز اثمن من الهند التي تتوقف عليها عظمة بريطانيا العظمى كلها . ولكن من تعمق في النظر يجد ان شكسبير هو الذي بقصائده هز معاطف الامة الانقليزية فاوردها موارد الصفاء واصعدها مصاعد العلاء وحبب اليها الجمال والجلال واطمعها في القلم والكمال وان فتح الهند المشتملة على مئات الملايين من الانفس انما كان من ثمرات تلك الشجرة الادبية التي غرستها يد شكسبير في هذه الامة العظيمة

ولولا ان يكون الادب هو مصدر الانبعاث الروحي ما كان الالمان فتنوا بغوتة الى حد ان شبانا كثيرين انتحروا من شدة التأثر باحدى رواياته . وما كان بعضهم يقول ان الله عوض الالمان من المستعمرات بالافكار الفلسفية ومن الفتوحات العسكرية بالفتوحات العقلية وهذه كانت نتيجة الثقاف النفسي والصقال المعنوي وهو الادب الذي نحن بصدده والنهضة الفكرية والنهضة البدنية هما ابدا توأمان ولي من قصيدة :

والعرب لا تبـدا بجمع جوعها   الا سمعت نشيدهـا وحداءهـا

هذا وما تبسطت امة في الفتح والاستعمار الا على اثر نغمات شعرائها ونبرات خطبائها ونفثات ادبائها فهم هم المحركون للساكن الموقظون للهاجع الناشرون للهامد الرافعون للمتضامن الحافزون للقاعد المتصرفون بقلوب الامة التي من بعد تصرفهم بها تتصرف بما لديها من مواد وخيرات على ايدي المهندسين والصناع والزراع وسائر العـاملين بالمادة . واما العرب فلم يشذوا عن هذه القاعدة بل كان

الادب من أعمل العوامل في نفوسهم. ولن تجد لهم فضيلة من قبل الاسلام الا كان الباعث اليها الادب من شعر وقصة وعظة ومثل. فهذه هي التي رغبتهم في الفضائل ونفرتهم من الدنايا وهونت عليهم بذل المهج في حفظ الذمار وصون العرض واغاثة الملهوف والانتصار للضعيف وهي التي قدست لديهم قرى الضيف والايثار على النفس وكون الانسان يعطش الى ان يموت حتى يسقي اخاه النميري وهي التي جعلت البدوي المعدم المنتبذ قاصية الفلاة تضيق عليه مذاهبه وتضيق عليه نفسه وقد اقبل صوب خيمته ضيف هو عاجز عن قراه فقال :

(هيا ربــاه ضيــف ولا قــرى بحقك لا تحرمه تا الليلة اللحما)

وابنه يراه في هذه الحيرة وهو غلام يافع فيقول لابيه . . (ايا ابت اذبحني ويسر له طعمــا) ويقول لابيه إلا تفعل يكن عارا كبيرا علينا فقد يظن الضيف اننا بخلنا عليه بالزاد ونحن نملكه . . (يظن لنا مالا فيوسعنا ذمــا) وان الرجل قد يهم بذبح ابنه لولا ان الله انقــذه من هذه الورطة بمرور عانة ظباء اصمى منها بسهمه واحدة في ابان احتياجه الى القرى ولكنه كان قد حدث نفسه بذبح ابنه عند ما ضاق به الامر (وان هو لم يذبح فتاه فقد هما)

وما كان غير هذا الادب الموروث الذي تناقله انسالهم خلفا عن سلف ولا يزال ملهج السنتهم وحديث اسمارهم والمثال الاكمل في انظارهم حاملا لهم على هذه المبالغة في اكرام الضيف والايثار على النفس . وكم قيل في هذا البــاب من بيت رفع وضيعا وخفض رفيعــا وكم رويت من قصة ترنحت لها الاعطاف وثملت بها الالباب من دون سلاف وكم سارت الركبان بحداء يتضمن من هذه الافعال النبيلة والمنازع العالية ما تنقطع دونه الاعناق حتى صار هذا الامر عندهم نهاية الشرف والسؤدد وصار المجد غير معقول من دونه وكم حدثوا عمن اوفى بعهده واتقى وتقلوا في سمر الليل من قصة في هذا الباب تتأرج بها الاندية . ورووا من مأثرة في الوفاء تطيب لها الانفس وترتفع الارؤس وذكروا اناسا ممن امن خائفا فاذا بهذا الخائف هو نفسه قاتل ولد الرجل الذي الجاه وامنه . ومع ذلك فبعــد ان عرف هذا الرجل ان هذا الملتجيء هو نفسه كان قاتلا لولده لم يخفر عهده ولم يرض ان يغــدر به . بل من هؤلاء المجيرين من ساعد المستجير على الفرار سرا في جوف الليل حتى لا تعلم به عشيرته فتفتك به وهذا في العرب كثير وله اماثيل قديمة وحديثة . ومنهم من كان عنده نزيل فوقعت واقعة بين ابنه وبين ابن ضيفه وكان من الصبيان الاغرار ففتك ابن المضيف بابن الضيف ولم يجد المضيف عند ذلك بدا من قتل ابنه ليخلص من عار القالة بان ولده قتل ولد ضيفه وليتقي سبة يرثها الاعقاب وتعير بها تلك القبيلة على مدى الاحقاب وهذا كابن مويت شيخ الضفير من عشائر العراق وهي معال لا يفهمها غير العرب ولا ترتقي همم الاعاجم الى ادنى درجاتها واذا رويت لغير العرب لم يفقهــوا لها حديثا وقد يقدرونها قدرها ولكنهم لا يعملون بشيء منها مع انها عند العرب من الخلائق الطبيعيــة التي لا يتصور

وجود العرب من دونها وانما رسخ هذا في نفوس العرب وامتزج بدمائهم بكثرة ما ورد في شعرهم ونقل من سلفهم الى خلفهم وتراجزت به سقاتهم على افواه الموارد وتغنت به حداتهم في اجواز الفيافي وهو الشعر الذي اوجده الله احسن قيد للمعالي واثبت سجل للمآثر على حد ما قال حبيب الطائي :

ان المعالي والمساعي لم تزل مثل الجبان اذا اصاب فريدا
هي جوهر نثر فان الفته بالشعر صار قلائدا وعقودا
في كل معترك وكل مقامة يأخذ منه ذمة وعهودا
فاذا القصائد لم تكن خفراؤها لم ترض منها مشهدا مشهودا
من أجل ذلك كانت العرب الاولى يدعون هذا سؤددا محدودا
وتند عندهم العلا الاعلا جعلت لها مرر القصيد قيودا

وماكانت للعرب فعلة مجيدة الا اخذت من الادب عهدا ومن الشعر موثقا ولا دارت معركة ظهروا فيها على اعدائهم الا خلدتها اشعارهم وسارت بها ازجالهم وكانت حافزا لهم على مواقف مثلها . إنظر الى قصائد ابي تمام والبحتري والمتنبي وغيرهم في مغازي الخلفاء ومقاماتهم في الذب عن هذه الامة تجد فيها من العزة القومية ما يحرك الجماد ويزلزل الاطواد وذلك مثل قصيدة ابي تمام في فتح عمورية التي اولها .

السيف اصدق انباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

ومنهـــــــــا

ابقت بنو الاصفر المصفر كاسمهم صفر الوجوه وجلت أوجه العرب

وقصيدته في ذكر تغلب العرب على العجم في يوم ذي قار قبل الاسلام

لهم يوم ذي قار مضى وهو مفرد وحيد من الاشباه ليس له صحب
بــه علمت صهب الاعاجم انــه به اعربت عن ذات انفسها العرب
هو المشهد الفصل الذي مــا نجابه لكسرى ابن كسرى لا سنام ولا صلب

فاي عربي يسمع هذا الشعر ولا ترقص ناصيته ولا تهتاج مريرتة عزة بقومه ونخوة بعصبيته ولا يستخف بالمنايا في سبيلهما ؟؟؟

وماذا نحصي من امثال هذه القصائد التي تغنى فيها شعراؤنا بمجد العرب وعليائهم فينطبع بها ناشئتهم على الغرام بالفتح والمجد ومعالي الامور وشرائف الاعمال ويعلمون انهم سلائل تلك الامة العظيمة الفاتحة . اننا ان حاولنا احصاءها كنا كمن يحاول إحصاء رمل عالج . وانما نجتزي هنا بمجرد الاشارة .

وقد بقي الشعر في العرب يرفع ويخفض وينصر ويخذل وهو أدب العرب الاسنى في الجاهلية

الى أن نزل الوحي على محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم فنسخ الادب الالهي كل أدب قبله وأقرض الاخلاق ما كان مستحسنا وأبطل ما كان من حمية الجاهلية الجهلاء فاصبح الادب مقيدا بالشرع فاعتدل مائله ودجن نافره وسلكت به المحجة الوسطى وعدل عن شعاب الانحراف وترهات الاسراف فسار الدين مع الدنيا رفيقين وتجلت الاولى والعقبى توأمين . وبديهي أن أدبا اثمره الوحي وثقافا أنجبه القرآن وفصاحة غذتها فصاحة التنزيل لمما يفوق كل ادب آخر علما وعملا .

وقد شهد التاريخ العام للادب القرآني بخوارق العادة في أسلوبه وتأثيره ولم تكن هذه الفتوحات التي دهش بها المؤرخون ومكنت الاسلام من نصف المعمورة في نصف قرن لا غيره الا ثمرة هذا الادب العالي الذي كان يفعل بالالباب فعل الشراب وناهيك بآداب رسول الله وآله واصحابه حملة الويتها وعمار انديتها وقد قلت فيهم برثائي لجاحظ العصر مصطفى صادق الرافعي رحمه الله :

من ذا يطاول في البلاغة احمدا وصحابه وأبا تراب حيدرا
المعربين اذا ارادوا خاطرا عنه بأعذب ما يكون وأقصرا
والمانعين المسكرات وقولهم ما خامر الالباب الا أسكرا

نعم ان فتوحات الصحابة لم تكن كلها بجوامع الكلم وأوابد الشعر وكان العامل الاعظم فيها الصارم البتار وقد يزع الله بالسلطان ما لا يزع بالقرآن . ولكن كم من كتابة أغنت عن كتيبة وكم من قول اغنى عن صول وكم من معركة كانت تدور الدائرة فيها على المسلمين لولا شعراؤهم وخطباؤهم وشواعرهم وأدباتهم وفرسان البيان منهم . وقد طالما لعب الشعر الحماسي ادوارا في هذه الفتوحات التي قلبت وجه العالم وطالما منع عنهم خوف العار واتقاء الاشعار هزيمة شنعاء وداهية دهياء ولله در المتنبي الذي يقول :

تلف الذي اتخذ الجراءة خلة وعظ الذي اتخذ الفرار خليلا
والعار مضاض وليس بخائف من حتفه من خاف مما قيلا

ولم تكن فائدة الشعر ومساجلات الشعراء ومحاضرات القصاصين والادباء منحصرة في اشارات نخوة المقاتلة وتهوين الموت على الغزاة في سبيل الله بل كان الادب متغلغلا في كل ناحية من نواحي الحياة الاسلامية لا يتحرك فيها متحرك ولا يسكن ساكن الا وللشعر والخطابة والبيان هناك الاثر البليغ والعمل العميق . وما كانت نهضة العرب العلمية في القرنين الثاني والثالث بعد الهجرة وتطاولهم الى الفنون والآداب والحكمة التي كانت للاعاجم الا من نتائج انتشار الادب العربي لاسيما الادب القرآني الذي فيه (ومن يوت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا) . ولم تعول الدولة العباسية على ترجمة فلسفة يونان ونقل حكم فارس والهند والتبحر في العلوم العقلية والعددية والطب وغير ذلك من الاسباب التي أسست بها هاتيك الحضارة الباهرة التي كانت الاولى من نوعها طوال القرون الوسطى الا بعد ان امتلأ

حوضها بشعر أبي العتاهية وأبي نواس ومروان ابن ابي حفصة وبشار بن برد وأبي تمـام والبحتري وابن الرومي ثم المتنبي والمعري وغيرهم من فحول الشعراء الذين كانوا يقظة في أبصار الدولة ولقاحا لخواطر الامة وكهرباء في اعصابها وبعد ان تدفق بعمرو ابن بحر الجاحظ وبهر سحر بيان ابن المقفع والصابي وابن العميد وامثالهم من كتاب العهد العباسي ومما لا مشاحة فيه أن المدنية الراقية لا بد لها من التحقق بالعلوم الصحيحة والعمل بها والاعتماد على الحقائق الكونية والتجاريب الواهنة مما يعبر عنه اليوم بالمذهب الواقعي. ولكن الادب هو الذي يصقل الاذهان ويشحذ القرائح وينبه نائم العزائم ويملا الحياة نشوة وسرورا ويجعل للمجتمع الانساني رونقا وبهاء ويشق الطريق الى المجد ويحمـل وسائل الترقي والتوقي وما كثر في الدنيا شيء الا ابتذل الا الادب فانه كلما كثر علا وهو الذي يحلي صاحبه بحلية الكياسة وهو الذي يؤمن له طريق الرئاسة ولله در القائل :

ما حوى العلـم جميعـا أحد لا ولـو مارسه ألـف سنـة
إنمـا العلـم عميـق بحره فخذوا من كل شيء أحسنه

فالادب هو صنعة الاخذ للاحسن من كل شيء وقد أجاد الآخر في قوله :

مـا خلق الله لامرىء هبـة أفضل من علقه ومن أدبـه
هما حيـاة الفتى فان فقدا ففقـده للحياة أليـق بـه

وقديما قالوا ليكن علمك ملحا وأدبـك دقيقا وحسبك في فضل الادب وشرفه قوله صلى الله عليه وسلم (أدبني ربي فأحسن تأديبي ثم أمرني بمكارم الاخلاق) فانت ترى ان مكارم الاخلاق هي من نتائج الادب وكفى بذلك للادب تكريما وتعظيما .

وخلاصة القـول ان ارقى المجتمعات البشرية هي التي يشع فيها الادب ويعلو مناره وينتظم به القول مع العمل ويتآخى فيـه الخيال مع الواقع وتسير به الحقائق الى جانب الرقائق فان الطبع البشري يأبى التمحض في منحى واحد ولا بد لرقي المجتمع من تاليف الاضداد وتعديل الاقسام حتى يحصل الاعتدال .

شكيب ارسلان

الخيال

في الأدب العربي

بقلم الاديب الشيخ احمد المختار الوزير
المعلم بمدرسة ترشيح المعلمين

« ٣ »

الخيال الاستحضاري القصصي

ولعلي في حاجة ماسة الى ذكر امثلة منوعة حتى لا يذهب كل قولي خلوا عاطلا من دلائل الاستقراء والصدق . وساختار من شعر عمر بن ابي ربيعة مثالا للخيال الاستحضاري القصصي . اذ هو شاعر القصة في ادبنا العربي . وطريفة جدا هذه القصة التي استحضرها خيال عمر وتحدث بها في قصيدة من غر قصائده اذ يقول

زعموها سألت جاراتها ... وتعرت ذات يوم تبترد
أكما ينعتني تبصرنني ... عمركن الله ام لا يقتصد ؟
فتضاحكن وقد قلنا لها ... حسن في كل عين من تود
حسدا حملنه من شأنها ... وقديما كان في الناس الحسد
غادة تفتر عن اشنبها ... حين تجلوه اقاح او برد
ولها عينان في طرفيهما ... حور منها وفي الجيد غيد

❊ ❊ ❊

ولقد اذكر اذ كنا معا ... ودموعي فوق خدي تطرد
قلت من انت ؟ فقالت انا من ... شفه الوجد وابلاه الكمد !
نحن اهل الخيف من اهل منى ... ما لمقتول قتلناه قود ! !
قلت : اهلا انتم بغيتنا ... وتسمينا فقالت : انا هند
انما اهلك جيران لنا ... انما نحن وهم شيء احد
كلما قلت متى ميعادنا ... ضحكت هند وقالت : بعد غد

ما اشك ان هذه الابيات استرعت اسماعكم، وانكم استحليتم رنة تنغيمها الموسيقى العذب ، وان قلوبكم ترقصت طربا لما في هذه الابيات من سرد حوار ممتع هو من سر احاديث المحبين ونجوى العشاق المعاميد اذا انقطع بهم المكان وبعد عن عيون الرقباء وآذان الوشاة

واما اشك انكم تعجبون كل العجب من دقة هذا الشاعر في استحضار هذا الحوار بين هند وبين جارتها في شأن ما كان يصفها بـه من مجيد النعوت وحلو الصفات ، فهند فخورة بجمالها العاري وهي ايضا فخورة بجمال الادب الرفيع الذي كان يطوق جيدها وصدرها الناهد، ويكلل جبينها الوضيء المتبلج ، ثـم انكم لتعجبون من استحضار هذا اللقاء الذي ظفر بـه عمر، فاذا هو يسألها مستأنسا مترفقا، وفي تصون وعفة، عن اسمها، واذا هي تصارحه راضية بكل شيء بالاسم والنسب وبالمنزل والحمى وتتحدث اليه بذلك مرتاحة مطمئنة ، وادعة هادئة ، بل ربما كانت عابثة لاهية ، بل ربما كانت مستهزئة ساخرة ،

هذا هو خيال عمر بن ابي ربيعة الشاعر القصصي الذي ظهر في حواضر بلاد نجد بين تلكم الربا المعشبة الخضرة ، والاودية المزدانة النضرة، فعاش متقلبا في اعطاف النعيم يلهو مع لذاته، ويمرح في مراتع الانس منقادا الى ضلال صبواته، ومضى في ميعة الشباب النشيط محبا للفراغ ، مؤثرا للخلاعة، وما كان يدري انه سيعيش مفتونا باغلى محاسن الدنيا ، مفتونا بجمال المرأة ، فما كان يفارق زهرة الا ليحط على زهرة ، ومـا كان ينصرف عن رحيق وردة ، الا ليقبـل بعواطفه وروحه على رحيق وردة ، وهكذا لانه كان يتعشق معـاني الانوثة ، وما ترمز اليه المرأة اكثر من المرأة ، ومن يدري لعله كان يرى فى تغنيه بمحاسن امرأة واحدة ركودا ، واسرا والشاعر من تعلهون اعزف الناس عن قيد الركود، واسر الجمود ، وبهذا القلب المشبوب عاش عمر للشعر والجمال ، ، وانتهج نهج القصص فكان صاحب فضل في هذا المنحى تقدم اليه ولم يغلب عليه ، عهد كان والى هذا العهد القريب ،

الخيال الاستحضاري الوصفي

ولتكميل اطراف الموضوع ساختار مثالا للخيال الاستحضاري الوصفي من شعر ابي الحسن علي ابن العباس المعروف بابن الرومي ، فهو شاعر الوصف في الادب العربي غير منازع رسخت في نفسه ملكة التصوير ، وطبع خياله على التشخيص والتجسيد ، واستعراض الكائنات في حلل من خصائص ميزاتها، وشاراتها، والوانها، فاذا تعرض لوصف شيء ملا عينيه وقلبه بكل ما قد احتواه واشتمل عليه، وتناول منه الخفي والظاهر والجواهر والاعراض ، والحركة والسكون ، وما دون هذا كله من الدقائق التي لا يتفطن لها احساس غيره ،

ولقد اعان ابن الرومي على نبوغه في فنه الكامل . طفولة عرائزه . وقوة حواسه ويقظات شعوره التي لا قرار لها ولا سكون . فليس يغيب عنه شيء الا ادركه . وليس يدرك شيئا الا تاثر به وتلهى بالاقبال عليه . وفحصه من كل جانب .

فلابن الرومي حاسة ذوق تدرك الحلو والمر وتعرف كيف تستحلى حلاوة الحلو وكيف تعاف مرارة المر وله حاسة سمع منتبه لمختلف الاصوات تدرك الغليظ الفاحش وتستنكره وتدرك الرقيق الرخيم وتستلذه وتستعذبه . وله حاسة بصر عميقة متأثرة فاحصة مستوعبة تتفقد مواضع الملاحة وتقدر الجمال ولا يفوتها الاقتباس من فتنة لمحاته الخاطفة وانواره المشرقة وقل ان شئت كان ابن الرومي مزودا بغريزة حب الاستطلاع . وكان ذا فن غزير . فكان ينحت اوضاع وحدته وعناصر معانيه من اصفى المقاطع ويفتن في تأليف والانسجام بقدرة كاملة وذوق صحيح .

وسترون على ضوء هذا التصدير ما قد امتازت به شاعرية ابن الرومي اذ يقول في وصف يوم خرج فيه مع اثنين من الاصدقاء لصيد الطيور .

وقد اغتدى للطير والطير هجع	ولو أوجست مغداى ما بتن هجعا
بخلين تما في ثلاثة اخوة	جسومهـو شتى وارواحهم معا
اذا ما دعا منا خليل خليله :	بافديك لباه مجيبا فاسرعا
كأن له في كل عضو ومفصل	وجارحة قلبا من الجمر أصمعا
فثاروا الى آلاتهم . فتقلدوا	خرائط حمرا تحمل الشم منقعا
محملة زادا خفيقا مناطه	من البندق الموزون قل واقنعا
وقد وقفوا للحائنات وشمروا	لهن الى الانصاف سوقا واذرعا
وجدت قسي القوم في الطير جدها	فظلت سجودا للرماة وركعا
وظل صحابي ناعمين ببؤسها	وظلت على حوض المنية شرعا
طرائح من سود وبيض نواصع	تخال اديم الارض منهن ابقعا
نؤلف منها بين شتى وانما	نشتت من ءالافها ما تجمعا
فكم ظاعن منهن مزمع رحلة	قصرنا نواه دون ماكان ازمعا
وكم قادم منهن مرتاد منزل	اناخ به منا منيخ فجعجعا
هنالك تغدو الطير ترتاد مصرعا	وحسبناها المكذوب ترتاد مرتعا
ثنوب بها قد امتعتنا وغادرت	من الطير مفجوعا به ومفجعا

❀ ❀ ❀

انه لا يقول شعرا في هذا القصيد ولكنه يزخرف صورا حية ناطقة . مفعمة بالمناظر والاشكال

والحركات والسكنات ، فقد خرج مع رفقة من خيرة الاصدقاء صدق مودة ، ومكين حب ، وبكروا في غبش الفجر حين كانت الدنيا ما تزال هادئة ساكنة يلفها الليل بشف الاستار ، وينشر عليها الصبح شعاعا رقيقا من شعلة الانوار ، وحين كانت النسمات الندية تنبه غفلات الاطيار . فتلمس اجنحتها لما رفيقا وهن ما يزلن هجعا بالاوكار ، وما كانت الحائمات تدري ولا كان الانسان يدري ما تخبئه الاقدار

والويل للطير ، فقد شمر هؤلاء الرفاق للصيد وكشفوا الى الانصاف سيقانهم واذرعتهم ذلكم ليكون اسرع في تصويب السهام والملاحقة واعملوا في الطيور الحائمات سهامهم فراشوا في الصميم ألوفا كانت مؤلفة ، فاصبحت الى الفرقة والشتات ، وهكذا ظلت الطيور تهوي ساجدة راكعة للرماة ، قل انظروا فهناك السود والبيض ترقشت بها مطارح الارض الخضراء ، فما كان احفله من منظر فرح به الاصدقاء فراحوا يجمعون هذه الطرائح في ثمول من النشوة الظفر بخير تأميل ورجاء

أليس هذا شريطا مؤلف الصور من الحركات والسكنات والاشكال والمنازع ؟ ولم ينس ابن الرومي ان يتحدث الينا بما كان يحسه نحو الطير المسكين من الاحساس الاليم . فقد كان قبيل حين وادعا مطمئنا هاجعا في اوكاره او حائما او محلقا يتخير المنازل ويرتاد المراتع . فما هي الا ساعة حتى راشته السهام ، فسقط يتمرغ من حرارة الضرام ، وترك من الطير مفجوعا به ومفجعا ،

تلكم هي عبقرية ابن الرومي التي اجابها الوصف . وابدع في التصوير كل الابداع . الا يخيل اليك انك معه بيقظات شعورك . وانتباه خاطرك . يقول استاذنا العقاد « واذا كانت هذه قدرة ابن الرومي على خلق الاشكال للمعاني المجردة او خلق الرموز لبعض الاشكال المحسوسة . فان القدرة التي سبق بها الشعراء في الامم كافة بغير شك ولا تردد هي قدرته البالغة على نقل الاشكال الموجودة كما تقع في الحس والشعور والخيال او هي قدرته على التصوير المطبوع لان هذا في الحقيقة هو فن التصوير كما يتاح لانبغ نوابغ المصورين . فلست اعرف فيمن قرأت لهم من مشارقة ومغاربة او يونان اقدمين واروبين محدثين شاعرا واحدا له من الملكة المطبوعة في التصوير مثل ما كان لابن الرومي في كل شعر قاله مشبها او حاكيا على قصد منه او على غير قصد . لانه مصور بالفطرة المهيأة لهذه الصناعة . فلا ينظر ولا يلتفت الا تنبهت فيه الملكة الحاضرة ابدا . واخذت في العمل موفقة مجيدة ، سواء سهر عليها او سها عنها . كما قد يسهو المصور وهو عامل في بعض الاحايين »

(يتبع)

احمد المختار الوزير



من رياض الادب

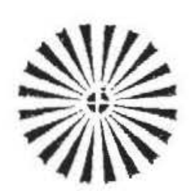
بمناسبة ختم السنة الدراسية بالمعهد الزيتوني القى الشعراء الفحول بمذياع تونس البريدية قصائد من غرر الشعر وابدعه في تهنئة الناجحين والتنويه بشان جامع الزيتونة المعمور وعلومه

قصيدة الاديب الكبير
الشيخ العربي الكبادي

دخلت بيتي واستوحيت وجداني	لكي يجود بياقوت ومرجان
من القريض الذي تبقى مآثره	ما دام بالارض آثار لانسان
حتى اطوق اجيادا قد اتصفت	بالسبق اربابها في خير ميدان
من كل اروع في عرنينه شمم	ذي همة اقعدته فوق كيوان
يا فتية اسهروا الاجفان وارتضعوا	ثدي المعارف في سر واعلان
زرعتم فحصدتم ما يشرفكم	من فاخر السبق في مضمار عرفان
ايقنتم بنشاط المرء رفعته	ولا يتاح العلا يوما لكسلان
فكنتم لكتاب الدرس من شغف	سفرا يضم الذي فيه باتقان
والعلم انواعه شتى فما احد	يحويه طرا ولو مع طول ازمان
وخير انواعه ما جر منفعة	يوم الجزاء وفوزا عند ديان
ينيل من اخلصوا في حال طاعته	وراقبوه باتقان واحسان
وهؤلاء هم القوم الذين لهم	تعلق بعلوم الدين ذو شان
قوم بجامعنا المعمور ما فتئت	على نظير لهم في الارض عينان
يمم اذا شئت عند الصبح معهدهم	او المساء تجدهم جد ظمآن
الى العلوم التي تفضي بصاحبها	بعد الممات الى روح وريحان
ما بين فقه وآداب مهذبة	وبين نحو وتفسير لقرآن
وسنة سنت الاخلاق طاهرة	من كل ما شان من زور وبهتان
وليس ذاك بمقصيهم ومانعهم	مما يروقهم بالعالم الفاني
ما دام في حيز الشرع الذي نزلت	آياته الغر في رشد وتبيان
ومن يكن لسبيل الشرع متبعا	فليس يثنيه عن نيل العلا ثان

قصيدة الاديب النابغ
الشيخ الطاهر القصار

قم في الدنيا وحيي الجامعا وانشر هناء الناجحين بدائعا
وانشر مديح ذوي الدراية والحجا أرجا يعم نواديا ومجامعا
وانظمه في نحر الزمان قلائدا جمعت من الشعر البليغ روائعا
فالعلم يبني كل ملك باذخ ويغادر الجهل الديار بلاقعا
ولتونس في العلم اعظم معهد غمر البلاد مكارما وصنائعا
فلجامع الزيتونة المجد الذي اضحى لمختلف المفاخر جامعا
جمع الشباب سوابقا نحو العلا والاتقياء سواجدا ورواكعا
هذي الدهور شواهد بعلائه فلينكر الطرف الكليل الواقعا
في كل عام هزة لنتاجه تذر القلوب من الحبور سواجعا
اسمع به وابصر فها قد اطلعت جناته زهر الثقافة يانعا
فتأرجت مدن الشمال بعرفها وغدا بها طير البشارة ساجعا
والناس قد طفحت لذاك وجوههم بشرا واعينهم سناء ساطعا
اعظم بختم الجامع السامي الذرى من مشهد يدع النفوس خواشعا
حفل به برزت خلائف يعرب متقاسمين فخار سبق واسعا
متسلمين من المكارم خيرها متقبلين من العلوم ودائعا
حفل تكلل بالكرام جبينه وحوت مظاهره الجلال الرائعا
نظمت به آي العلوم كواكبا غررا تلالا في الفضاء لوامعا
فليهنا ابناء الشمال بفوزهم وينشئوا فوق النجوم مرابعا
ولتسعد الخضراء بالبيت الذي اسدى لطلاب النهوض منافعا
وليمرح التاريخ تيها وليقل قم في فم الدنيا وحيي الجامعا



قصيدة الاديب الفحل
الشيخ بلحسن بن شعبان

هو العلم فابذل ما استطعت له جهدا ولا تتخذ شيئا سوى نيله قصدا
وجرد له عزما وكن في سبيله صبورا على حمل العنا يقظا جلدا
فانت به عال الى منتهى العلا وانت به مستقبل زمنا رغدا
فعقبى اقتناء العلم فوز محقق ونيل امان لست تدري لها حدا
به يبلغ الانسان اقصى مرامه به كم بني من لم يكن ماجدا مجدا

❀ ❀ ❀

الا حي من قد احرزو في مجاله مفازا وأكبر فيهمو الحزم والجدا
فقد حمدوا اليوم السرى وتكللت مساعيهمو بالنجح واستعذبوا الوردا
واثمر جهد قد اتوه مضاعفا واسدى لهم من خالد العز ما اسدى
وعادوا الى اهليهمو في مسرة وكل غدت ازكى التهاني له تهدى
فذلك تحصيل وذا عالميه وهذا حوى اهلية توقظ الكدا
ايا جامع الزيتونة السامي الذرى لقد كنت في خضرائنا العلم الفردا
بنوك لقد اضحوا بذا القطر انجما تنير الدجا الا استطيع لها عدا
وادوا كما ترجوا وسالتك التي تقلدتها واستوجبت في الورى حمدا
بهم لم تزل تزدان كل مهمة بهم معقل العليا تدعم واشتدا
فما انت الادوحة تثمر المنى وتنشر من شتى المعارف ما اجدى
فلا زلت حصن الدين واللغة التي بفضلك لم تبرح لنحر العلا عقدا

❀ ❀ ❀

اتيناك في مضى فافضت من عوارف لا تبلى واكسبتنا رشدا
لدى حلقات يزخر العلم عندها ويظفر بالمرغوب من رامها وردا
رعى الله عهدا فيه شبت عقولنا واشياخ علم زينوا ذلك العهدا
وان انس لا انسى جميل صنيعهم ولست مضيعا ما حييت لهم ودا
واني لمن ابدى الجميل لشاكر ولن تبصروا مني لمعروفه جحدا

القضاة الشرعيون

في القديم

بقلم العلامة الجليل الشيخ محمد
البشير النيفر الاستاذ بجامع الزيتونة

العالم النحرير الكاتب المجيد المدرس الشيخ سيدي محمد الشاذلي ابن القاضي مدير المجلة الزيتونية حفظه الله السلام عليكم ورحمة الله وبعد فقد قرأت ما نشر بمجلتكم الغراء بقلم العلامة البحاثة المؤرخ سيدي محمد بن الخوجة من تاريخ القضاء الشرعي بالحاضرة وأسماء من تقلد هذه الخطة من منتصف القرن الثاني عشر الى اليوم من أهل المذهبين وكنت جمعت تراجم مفصلة لهؤلاء على ما انتهى اليه بحثي فللمالكية من منتصف القرن السادس للهجرة الى اصيل القرن الثالث عشر وللحنفية من القرن الحادي عشر الى أصيل الثالث عشر أيضا فرأيت تكملة للفائدة أن أقدم اليكم خلاصة وجيزة منه لتنشر وها هي ذي تصلكم مبتداة بأقدم قاض وقفت على اسمه والله يتولى حفظكم واعانتكم والسلام من عبيد ربه محمد البشير النيفر وكتب في التاسع والعشرين من جمادى الاخرة سنة ١٣٥٨

١ ـ الشيخ أبو الحسن علي بن احمد الابي

كان هذا القاضي على عهد عبد المؤمن بن علي الذي اقام في الامارة ثلاثا وثلاثين سنة وثمانية اشهر وخمسة عشر يوما وتوفي سنة ٥٥٨ قال الزركشي في كتابه تاريخ الدولتين (ص ٩) اثناء الكلام على دولة عبد المؤمن :

وانشد قاضي تونس ابو الحسن علي بن احمد الابي بعد وقعة وقعت في الاعراب وهزيمة في خبر يطول :

ولى الشباب امام الشيب منهزما فذا يصول وذا يشتد في الهرب اهـ

٢ ـ ابو عبد الله بن زيادة القابسي

هو من قضاة الامير ابي زكرياء يحيى قال الزركشي في تاريخه (ص ١٨) : وفي الموفى ثلاثين لشهر رمضان من سنة خمس وعشرين وستمائة عزل ابو زكرياء يحيى قاضي الجماعة بتونس طلب من السلطان ذلك وقدم عوضه أبا عبد الله ابن زيادة الله القابسي اهـ

٣ - ٤ – ابو القاسم المريش وعبد الرحمن بن نفيس

هما من قضاة الامير ابي زكرياء ايضا . قال الزركشي في تاريخه (ص٣٣) : وفي سنة ٦٤٠ اخر المولى ابو زكرياء ابا القاسم المريش عن قضاء تونس وقدم عوضه عبد الرحمن بن عمر بن نفيس اه وتوفي الشيخ ابن نفيس سنة ٦٨٢ قاله الزركشي (ص٣٩)

٥ – عبد الرحمن بن علي التوزري المعروف بابن الصائغ

ولي القضاء على ما في تاريخ الدولتين (ص٢٣) يوم الاربعاء ثاني صفر سنة ٦٤٦ بعد ان صرف عنه الشيخ عبد الرحمن ابن نفيس وتوفي على ما في تاريخ الدولتين (ص٢٩) سنة ٦٥٩

٦ – ابو القاسم بن علي بن عبد العزيز بن البراء المهدوي

ولي القضاء على ما في تاريخ الدولتين (ص٢٦) سنة ٦٥٧ بعد ان صرف عنه الشيخ عبد الرحمن ابن الصائغ وبيت هـذا القاضي من بيوتات العلم والوجاهة بتـونس . قال الشيخ احمد بابا في نيـل الابتهاج في ترجمة حفيده عبد الله نقلا عن الشيخ خالد في رحلته ما نصه :

هو الشيخ الفقيه الخطيب ابن الشيخ الفقيه من بيت علم وادب ، ومجد وحسب . قطفوا ثمار المجد من غرس العـلى ، واليهم الرتب والمنتهى ، فهم لباب مجد عزة انفس وذكاء ألباب ، ما منهم الا عالم اوحد ، لا ينعت ولا يحد ، والقاضي ابو القاسم به سفر مجدهم ، وهو الذي عمر ربع الملك ، وامر بالحياة والهلك ، وذبح القرطاس وفوف ، ودرس العلم وصنف اه وكانت وفاة الشيخ ابي القاسم على ما في تاريخ الدولتين (ص٣٣) سنة ٦٧٧

٧ – ابو موسى عمران بن معمر الطرابلسي

قال الزركشي في تاريخه (ص٢٦-٢٧) : وفي سنة ٦٥٧ عزل السلطان القاضي عبد الرحمن عن قضاء تونس وقدم الفقيه ابا القاسم بن البراء المهداوي ثم اخره عن القضاء وقدم ابا موسى عمران بن معمر الطرابلسي وكان فقيها صالحا حسن الاخلاق وطيء الجانب حافظا للمذهب عارفا بالمسائل بصيرا بالاحكام ولي قضاء بلدة طرابلس والخطبة والصلاة بجامعها ثم نقل عنهـا الى قضاء تونس سنة ٥٨ فلم يزل قاضيا الى ان توفي اه ورايت له ترجمة مختصرة في كتاب التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الاخبار ، (ص١٧٥) وفيه انه ابو موسى بن عمران ، ومما جاء فيها انه كان . . . فقيها عالما تولى القضاء بطرابلس نيفا وثلاثين سنة واستن فيه بسنة اهل الفضل والعدل ، وانـه كان ذا اخلاق جميلة وسيرة

حميدة . . . ارسل له الخليفة الحفصي سنة ثمان وخمسين وستمائة فوصله بتونس فولاه القضاء بها واقام نيفا وعشرين شهرا ثم توفي رحمه الله سنة ستين وسبعمائة اهـ والصواب ان وفاته سنة ٦٦٠ وكانت عاشر شهر ربيع الآخر على ما في تاريخ الدولتين (ص ٢٩)

٨ ـ ابو عبد الله محمد بن علي بن ابراهيم المهدوي المعروف بابن الخباز

ولي القضاء على ما في تاريخ الدولتين (ص ٢٩) بعد وفاة أبي موسى الطرابلسي ثم صرف عنه في ثالث شهر رمضان سنة ٦٦٢ ثم اعيد اليه في التاسع والعشرين لذي القعدة سنة ٦٦٧ وتوفي على ما في تاريخ الدولتين (ص ٤٠) بالمهدية في ٢٧ من جمادى الآخرة سنة ٦٨٣

٩ ـ احمد بن محمد بن الحسن الشهير بابن الغماز

ولي القضاء للمرة الاولى بعد ان صرف عنه إبن الخباز في ثالث شهر رمضان سنة ٦٦٢ ثم عزل رابع شوال سنة ٦٦٧ .

وهذا القاضي من افذاذ رجال العلم . وهو أنصاري خزرجي ولد ببلنسية يوم عاشوراء سنة ٦٠٩ واخذ عن جماعة من شيوخ الاندلس ثم قصد بجاية واتخذها وطنا واشتغل فيها بالتوثيق ثم استوطن تونس واشتغل فيها بالتوثيق ايضا ثم ولي قضاء بجاية ، وكان في القضاء مثال الزعامة في الحكم والدراية بادارة رحاه على قطب السياسة الحاضرة مع حفظ الحق ان يهضم ، وتبين للناس تفوقه على من جاء قبله من رجال القضاء .

ومن اجمل ما تركه أثرا يذكر ويشكر أن جيش بجاية اتحد بجيش افريقية لحصار مليانة فاصبحت البلاد خالية من الجند وطلع قرن الفتنة والهرج من الخارج فتداركها رحمه الله بتدبيره وجده وحصر النار في مواقدها وقد خاف الناس ان تنتشر وأدار الخندق بالبلاد وشيد من اسوارها ما كان محتاجا الى التشييد .

وهذه حجة قيمة على من يزعم أن أهل العلم لا طاقة لهم أن ينهضوا بالامور العامة .

ولما عادت السيوف الى اغمادها دعي رحمه الله الى تونس فقلد القضاء في كثير من بلادها ثم قدم الى قضاء الحاضرة في شهر رمضان من سنة ٦٦٢ وقد اسلفناه قريبا وتكررت ولايته الخطة وصرفه عنها نحوا من سبع مرات قاله ابن فرحون في الديباج

وقال في عنوان الدراية : ولم يزل يخلع القضاء بحاضرة افريقية ويلبسها خلعا احسن من لبس ولبسًا أحسن من خلع لانه كان لا يخلعها الا لمثلها وما هو اسنى منها . ولم يكن الخلع لشيء اصلا اهـ

وكان اول صرف له عن الخطة رابع شوال سنة ٦٦٧ وآخر ولاية له في تاسع عشر شهر رمضان سنة ٦٩١ وتوفي عليها وقدم فيما بين التاريخين الى العلامة الكبرى سنة ٦٧٧ على عهد ابي اسحاق بن ابي زكرياء . وسمت منزلته في قلب السلطان ابى عبد الله محمد ابن الامير ابي زكرياء الملقب بالمستنصر بالله واصطفاه رسولا منه الى بعض ملوك المغرب وكانت وفاته يوم الخميس عاشر المحرم سنة ٦٩٣ ودفن بمقبرة الشيخ عبد الرحمن المناطقي بالحاضرة .

١٠ ــ احمد الشهير بالمفسر

ولي القضاء بعد ان صرف عنه ابن الغماز رابع شوال سنة ٦٦٧ ثم عزل في التاسع عشر من ذي القعدة في السنة نفسها واعيد الى القضاء ابن الخباز .

١١ ــ ابو محمد عبد الحميد بن ابي الدنيا

ولي القضاء بعد عزل ابن الغماز في رجب سنة ٦٧٩ ثم صرف عنه في شهر رمضان من هذه السنة نفسها وهذا القاضي من افذاذ رجال العلم والدين وهو طرابلسي الاصل تفقه بطرابلس الغرب على ابن الصابوني ودخل المشرق مرتين ورجع الى طرابلس بعلم جم فتصدر للتدريس بها واخذ الناس عنه الفقه واصوله واصول الدين وهم ممن ينكر المنطق من علماء الاسلام . ولما اشتهر ذكره دعي من بلاده الى تونس فدخلها عزيزا كريما وولي بها القضاء قال في عنوان الدراية : وهو ممن يتجمل القضاء به لاهليته الدينية والعلمية اه وتوفي في السادس والعشرين من شهر ربيع الاول سنة ٦٨٤ ودفن بالزلاج قال الزركشي وتلمح العلامة ان عند رأسه سارية طويلة فيقولون قال صاحب هذا القبر اجعلوا لحدي بقدر علمي يريدون كبر درجته في العلم اه قلت وهو بعيد لان الرجل كان في الدين بالمقام الذي لا يدنو منه الاعجاب بالنفس ومن كلام الغبريني في عنوان الدراية فيه : وديانته وصيانته وورعه معلوم لا شك فيه اه وفي كتاب التذكار (ص ١٧٦) ان الخليفة المستنصر الحفصي اظهر تغيرا له في بعض الاوقات .

(يتبع) محمد البشير النيفر

المجلــة

ان الدين عند الله الاسلام

مراحل التشريع الاسلامي
بين مكة والمدينة

ان الله تعالى شرع الدين لتصفية أرواح البشر ، وتخليصهم من شوائب الضلال ، وتطهير عقولهم من الادران التي تعلق بها ، لتتمحض للاعتقاد الصحيح ، وتصلح للعبادة والطاعة ، وتخلص اعمالها لله وحده ، وتتهذب لحسن المعاشرة بالمعروف ، فالدين هو ركن الاصلاح ، ونبراس الهداية ، والدواء الناجع لامراض النفوس ، والرابطة المتينة التي تجمع البشر على الخير ، وتصل بهم الى السعادة العظمى .

وتعاليم الدين مجموع امور ثلاثة ، ما يحصل به الاعتقاد الصحيح ، وما تتهذب به النفوس ، وما يتم به حسن المعاشرة الخاصة والعامة ، وهي التكاليف الشرعية الموسومة ايضا بالملة والشرع على اختلاف في الاعتبار .

قال ابو اسحاق الشاطبي في الموافقات ان الشريعة ترجع الى حفظ المقاصد التي يكون بها اصلاح الدارين وهي : الضروريات والحاجيات والتحسينيات وما هو مكمل لها ومتمم لاطرافها .

وقد اطلق القرءان اسم الاسلام على الدين الحق الخالص من كل شائبة قال تعالى : ان الدين عند الله الاسلام وهو الدين الذي جاء به الرسول لهداية البشر فخلصت به معتقدات متبعيه وكانوا على بينة فيما حملهم الرسول عليه وتمسكوا به ، واسلموا وجوههم لباريء الكائنات واحسنوا في اعمالهم

ومن احسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا .

واسم الاسلام يتناول سائر الشرائع السماوية الخالصة من شائبة التحريف التي خلصت معتقدات البشر فاصبحوا على بينة من الحق فالحق واحد والدين في اصله ومغزاه واحد وجاء التبديل من بعد فترتب عليه التغاير قال تعالى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين الا لله الدين الخالص وقال تعالى : وما ارسلنا من قبلك من رسول الا يوحى اليه انه لا إله الا انا فاعبدوني .وجاء التماثل في اصول التشريع قال تعالى : شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه . ومثل ذلك ما شرع في اصول العبادة يرشد اليه ما جاء في قوله تعالى مما خاطب به موسى (صلعم) اني انا الله لا إله الا انا فاعبدني واقم الصلاة لذكري.

وفي اصل مشروعة الصيام ما خاطب به القرءان المسلمين بقوله تعالى كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون .

وفي مشروعية الحج وبيان امده ووقته قال تعالى : الحج اشهر معلومات .علموها من شريعة

ابراهيم عليه الصلاة والسلام، وقال تعالى في بيان نوع من التشريع لامة خلت فيما يتعلق بالعقوبات وكتبنا عليهم فيهـا ان النفس بالنفس والسن بالسن والعين بالعين والجروح قصاص . وقال سبحانه في التشريع الاسلامي ولكم في القصاص حياة . وقال تعالى بعد ذكر الانبيـاء عليهم السلام اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده خطابا للنبيء صلى الله عليه وسلم . وقال سبحانه في حق المسلمين . يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم. وعلى هذا الاصل نقول ان الشرائع متحدة في اصل العقيدة واصول الطاعات . متحدة في العناية بتهذيب النفوس ونشر الاخلاق الكريمة ، فان الله واحد لا شريك له. وصفاته سبحانه ازلية قديمة لا تبديل فيها ، ويوم الجزاء بما اشتمل عليه ثابت لا يتغير . واستحقاق المنعم للشكر والطاعة قضية مسلمة لاخلاف فيها قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون والفضيلة في نفسها فضيلة مرغوب فيها على الدوام والرذيلة رذيلة لا تنقلب فضيلة . وانما التخالف في الملابسات . وعلى هذا القياس

والتغاير بين الشرائع فيما هو اخص من ذلك انما التغاير في فروع الشرائع والعوارض الطارئة في التكاليف والتكاليف انواع القسم العظيم منها يرجع الى الحياة العامة او الخاصة ومنها ما يتصل بهيئة العبادة وتنويعها والتحريم والتحليل حسب المصلحة التي تقتضي ذلك مما يعود بالنفع العام على الناس وذلك قوله تعالى : ولكل منكم جعلنا شرعة ومنهاجا. فهو يرجع الى فروع الملـة على ما اقتضته الحكمة من اوجه الحفظ والرعاية المتنوعة فان حالة البشر لم تكن متناسقة في جميع العصـور فكان هذا مدعـاة لاعتبار المراحل في تبليغ الملل . والرسل قد قطعوا بالبشر المرحلة تلو المرحلة على حسب الاستعدادات التي كان عليها الناس حتى كانت خاتمة المراحل التي انتهى اليها البشر فجاء التشريع العام الذي يصلح لكل عصر وفي كل مصر بما اوحاه الله تعالى لخاتم الرسل عليه الصلاة والسلام

وبهذا نعلم انه لا تفاضل بين الشرائع من حيث اصل التكليف ضرورة أن مصدر جميعهـا واحـد وهو الله تعالى فهو سبحانه الذي ارسل الرسل وأوحي اليهم بالشرائع التي اتت كل واحدة منها ملائمـة للحالة الاجتماعية التي كانت عليها الامة المرسل اليها طبق الحكمة الالهية التي ربما تخفـى على بعـض العقول وحيث ثبت التغاير من جهة الفروع جاء وصف التفاضل منظورا فيه الى التشريع السابق واللاحق بالنسبة للامة من حيث وطأة التكاليف ويسرها وسهولتها فنعت الشريعة بهذا الوصف ينبغي ان يكون من هذه الجهة لا من الجهة الاولى واحسب ان هذا لا يخالفني فيه مخالف

وبهذا نعلم ايضا وجهة النظر في جواز تفضيل بعض الانبياء على بعض وعدم الجواز

فباعتبار انهم رسل ارسلهم الله بشرائع لانارة سبل الهداية فلا تفاضل بينهم وعليه جاء قـوله عليه الصلاة والسلام لا تفضلوني على الانبياء وقوله لا تفضلوني على يونس بن متى

وباعتبار ما يلاقونه في سبيل الدعوة من المشاق المتفاوتة وما اودع الله في نفوسهـم من الصبـر

لتحمل اعباء الرسالة وشدة صبرهم على تحمل الاذاية من المعاندين المكابرين فهم متفاوتون في المزية كتفاوتهم في الخصائص والصفات فمنهم اولوا العزم ومنهم من خصه الله بصفة الخلة ومنهم من كلمه الله ومنهم من خصه بالشفاعة العظمى يوم المحشر . فهذه المزايا وهبها الله تعالى لاصفيائه من خلقه والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم

ويتبع ذلك ما خص به تعالى هذه الامة وميزها به من طرق الهداية وشرفها بخاتم الرسل وخاتمة الاديان وجعلنا امة وسطا شهداء على الناس وجعل الرسول علينا شهيدا قال تعالى في معرض التفضل والامتنان وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا . قال المفسرون وسطا اي خيارا

فتلك منازل الشرف التي قصرت عنها سائر المنازل وسمانا سبحانه المسلمين على لسان رسوله وعلى لسان ابراهيم من قبله عليهما الصلاة والسلام فاكرم بها من نعم لا نحصى ثناء وشكرا عليها

واعلم ايها الراغب في الخير المتطلع الى السعادة ان الله تعالى شرع لنا هذا الدين الذي شرفنا به وانزله على رسوله العظيم في ارض الحجاز . وقد كانت مدة التشريع اثنتين وعشرين سنة وبضعة اشهر .

واول التشريع كان نزوله بمكة ام القرى . وهو يشتمل على معظم القواعد الكلية . وكان اولها تصحيح العقيدة واقامة البراهين على أن الله هو الواحد الاحد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤاً احد . ليس كمثله شيء وهو السميع البصير قل لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا

ثم تبعه ما هو من الاصول العامة كالصلاة وانفاق المال والترغيب في ثوابه تعالى والترهيب من غضبه واليم عقابه والنهي عن كل ما هو كفر او فسوق

ثم جاء التشريع بما يتعلق باصلاح النفوس وتهذيبها والحث على مكارم الاخلاق التي بعث صلى الله عليه وسلم ليتممها بالقول والفعل . قال عليه الصلاة والسلام بعثت لاتمم مكارم الاخلاق . وقال تعالى : وانك لعلى خلق عظيم

والعناية باصلاح النفوس مقصد عظيم واصل من اصول التشريع الاسلامي ولذلك جاء متصلا باصلاح معتقد الناس يامرهم بمحاسن الاخلاق كالعدل .والاحسان والوفاء بالعهد . والعفو . والاعراض عن الجاهل . والدفع بالتي هي احسن . والخوف من الله تعالى . والصبر والشكر . وصلة الرحم وكل معروف . ويحذرهم من مساوي الاخلاق كالفحشاء والمنكر . والبغي . وقول الزور . والتطفيف في المكيال والميزان والفساد في الارض . والزنا . وقتل النفس بغير حق . ووأد البنات . وقيل وقال .وكثرة السؤال .واضاعة المال الى غير ذلك من الصفات

وقصة ابي سفيان مع هرقل عظيم الروم قد جاء فيها ان هرقل سأل ابا سفيان . وقال له ماذا

يامركم (يعني بــه النبيء صعلم) قال ابو سفيان قلت : يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا بــه شيئا واتركوا ما يعبد آباؤكم . ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة

وكانت المدة التي وقع فيها التشريع بمكة اثنتي عشرة سنة وخمسة اشهر وبضعة ايام تبتدىء من السابع عشر من شهر رمضان سنة احدى واربعين من ميلاده عليه الصلاة والسلام وتنتهي في ربيع الاول سنة اربع وخمسين من الميلاد وهي نفس المدة التي اقام فيها بمكة بعد البعثة وقد اطلق العلماء على التشريع في مكة انه التشريع الاجمالي المتضمن لمعظم القواعد الكلية . والجزئيات المشروعة بمكة قليلة

والمرحلة الثانية في التشريع كانت بعد الهجرة ومدة التشريع فيها تسع سنين وتسعة اشهر وبضعة ايام . تبتديء من ربيع الاول سنة اربع وخمسين من ميلاده صلى الله عليه وسلم وتنتهي في ذي الحجة سنة ثلاث وستين من الميلاد وهي المدة التي اتخذ فيها صلى الله عليه وسلم المدينة دار إقامة واعتمدنا هذا الحساب باعتبار تاريخ الآية التي اشعرت بتمام التشريع وكمال الدين وهي : اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا وتــاريخ نزولها يوم عرفة وهو اليوم التاسع من ذي الحجة في حجة الوداع وان كان للعلماء هاهنا خلاف نقتصر على هذا وهو المتجه في نظرنا

والتشريع الذي وقع بعد الهجرة قد كملت به الاصول الكلية وما يتبعها من الجزئيات . كالوفاء بالعقود وتحديد الحدود واصلاح ذات البين ونظام الاحوال الشخصية في المواريث . والانساب والجهاد والزكاة وصوم رمضان والحج وتحريم المسكرات الى غير ذلك مما يحفظ الامور الضرورية في الحياة العامة او الخاصة ، وما يكملها ، وما يحسنها .

فعلمت بهذا ان التشريع وقع على مرحلتين الاولى قبل الهجرة وقد روعي فيــه حال المخاطبين به فكان على نحو ما ذكرنا ، ثم لما استقرت العقيدة في النفوس وصلحت لتلقي بنود الشريعة واتسعت خطة الاسلام كانت المرحلة الثانية . على ان من التشريع ما وقع خارج الحرمين فان النبي صلى الله عليه وسلم كثيرا ما تحدث الحادثة وهو في سفر فيقع التشريع وذلك كمشروعية التيمم وكالتشريع الذي وقع في الغزوات .

وبهذا ننتهي الى اصل من اصول التشريع ، وهو ان الاحكام الشرعية نزلت تدريجيا بحسب ما تقتضيه سنة التكليف ، روعي فيها حالة المتلقين لها .

وكانت تأتي مرة بحسب الحوادث . وطورا تكون جوابا عن سؤال الصحابة .

والسؤال على نوعين اما ان يكون لاستظهار حكم في واقعة حال فياتي الحكم عاما لكافة الامة . كقولــه تعالى يسالونكم عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما اكثر من نفعهما واما ان لا يكون السؤال لاستظهار حكم . والجواب عن هذا النوع مرة يكون مطابقا لاصل السؤال ولا يترتب عليه حكم لا خاص ولا عام ومرة يكون الجواب غير مطابق للسؤال لافادة السائل ما

يهمه معرفته وتحويله الى شيء ينبغي ان يكون السؤال عنه كقوله تعالى يسالونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج وطورا يقع التشريع ابتداء. فيأتي الحكم بعد ان يستقر ما شرع قبله في النفوس.

وهذا لطف من الله تعالى بعباده حتى لا تضجر نفوسهم بتكاليف الملة وترتاض لاوامر الله ونواهيه على طريق التدريج وحكمة منه سبحانه وهو العليم الحكيم وهو تعليم وارشاد لاولي الامر ليسلكوا مع الرعية طرق اللين والتدريج فيما يكلفونهم به مما توجبه المصلحة العامة. ولا يغامرون بهم فيفرضون عليهم المشاق التي تتضاءل المصلحة المنتظر حصولها امام ما يقع من التصدع ويفضي الى عدم اداء الواجب وقد ظهرت اثار هذا التعليم في سياسة الخلفاء الراشدين التي ساسوا بها الامة الاسلامية مدة خلافتهم

فهذا عمر الفاروق رضي الله عنه يعفي القائد العظيم خالد بن الوليد من قيادة الجيش الاسلامي رأفة منه رضي الله عنه بالمسلمين الذين كانوا تحت قيادة ذلك البطل

وكذلك كان حاله رضي الله عنه مع المسلمين لما خاطبه عمرو بن العاص في غزو مصر. فانه تردد رضي الله عنه بين الاقدام والاحجام ولم يرد المغامرة بالمسلمين اتقاء ان يحملهم امرا ربما المصلحة في عدم الاسراع به ويكلفهم ما هو فوق طاقتهم فهو يرى ان الفتح يكون تدريجيا كما علمهم رسول الله حيث القى عليهم الشرع تدريجيا.

وبهذا نعلم أصلا آخر من الاصول التي راعاها التشريع الاسلامي. الا وهو رفع الحرج في التكاليف الشرعية واستقراء نصوص الشريعة يفضي بنا الى هذا الاصل العظيم ايضا قال تعالى ما جعل عليكم في الدين من حرج .

وقال تعالى ما يريد الله ليجعل عليكم في الدين من حرج. ولكن يريد ليطهركم وقال تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها.

ومنه نعلم اصلا ثالثا وهو ان الدين يسر وليس بعسر وان الشريعة ميسرة لا منفرة قال تعالى: يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر

وقال جل جلاله: يريد الله ان يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا. وكذلك كان حاله صلى الله عليه وسلم مع الامة. وفي الحديث : ما خير صلى الله عليه وسلم بين امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما.

ومن ذلك ما جاء في جامع الترمذي عن ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها عنه صلى الله عليه وسلم انه قال : إدراوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم. فان كان له مخرج فخلوا سبيله. فان الامام ان يخطيء في العفو خير من ان يخطيء في العقوبة

ولا نطيل في ذكر النصوص الدالة على يسر هذا الدين الذي جعل الله فيه لعباده الرحمة والسعادة. ورتب على الحسنات والطاعات المغفرة وحسن المثوبة وعفا عمن يهم بالمعصية وتضعف له حسنات اذا قصد بالكف الخشية من الله تعالى وذلك كله رحمة من الله سبحانه بهذه الامة وهو ارحم الرحمين

بحر الانساب

نور الانوار – ذيل بحر الانساب المحيط

أهدى الى المجلة فضيلة الاستاذ الجليل الشيخ حسن الرفاعي الشريف الحسيني من كبار علماء الازهر ورئيس رابطة الاشراف الكبرى بمصر هذا السفر الفاخر الجليل المشتمل على كتاب بحر الانساب المسمى بالمشجر الكشاف لاصول السادة الاشراف للعلامة النسابة السيد محمد بن احمد عميد الدين علي الحسيني النجفي الذي اشتمل على اصول وفروع عموم السادة الاشراف وعلى شرحه للعلامة السيد محمد مرتضى الزبيدي وكتاب نور الانوار في فضائل وتراجم ومناقب ومزارات آل البيت الاطهار للشيخ السيد حسين محمد الرفاعي وذيل بحر الانساب له ايضا جمع فيه ما وصل اليه من الشجرات الزكية المتصلة بالنسب الشريف من جميع الاقطار، فجاء سفرا جامعا له قيمته التاريخية وثمرته العلمية فهو جامع عظيم القدر يجد فيه الناظر ما يعز وجوده سيما بعد ان تمم الشيخ الرفاعي ما انتهى اليه النجفي والزبيدي واما النسخة المخطوطة التي طبع عليها الاصل وشرحه فهي النسخة الوحيدة بالقطر المصري وقد زادت قيمة الاصل والذيل بالفهارس التي جعلها لها وهي ستة فهارس في موضوعات الكتب والاعلام وقد ذكر فيها اعلام اصول الشجرات والامم والقبائل والمدن والقرى .

والشيخ الرفاعي قد ادى بهذا العمل المثمر المشكور واجبا عظيما نحو آل الرسول الاشراف نرجو له حسن المثوبة عند الله والاقبال على هذا (البحر) الزاخر ممن يقدر نفائس الاشياء حق قدرها وهو مع ما جمع فيه من فروع الشجرة الزكية فلم يزل كثير من الفروع لم تلحق باصلها فيه فنحن نحض السادة الاشراف على ان يراسلوا الشيخ حسين الرفاعي بسلاسل انسابهم او يرسلوها الى ادارة مجلتنا ونحن نتعهد لهم بابلاغها الى رئيس رابطة الاشراف ليقع نشرها في الجزء الرابع لبحر الانساب وهذا بعض ما نقوم به لآل الرسول الاكرمين عليه من الله افضل الصلاة وازكى التسليم وعلى آله آمين .

الاجابة

لايراد ما استدركته عائشة على الصحابة

كما اهدى الينا الاستاذ العالم السيد سعيد الافغاني الدمشقي كتاب الاجابة لايراد ما استدركته عائشة على الصحابة تأليف الامام بدر الدين الزركشي المولود بمصر سنة ٧٤٥ والمتوفى سنة ٧٩٤ وهو كتاب عظيم الفائدة جمع فيه مؤلفه الاحاديث التي تفردت بها ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن باقي الصحابة وقد الف في مستدركات عائشة رضي الله عنها جماعة من اهل العلم منهم ابو منصور عبد المحسن البغدادي المتوفى سنة ٤٨٩ وقد اثبت مؤلفنا ما استدركه البغدادي وزاد عليه ما تفرد بتخريجه والنسخة التي طبع عليها الناشر هي نسخة بخط المؤلف نفسه وقف عليها بخزانة المكتبة الظاهرية بدمشق وصدره بمقدمة حافلة ضمنها موضوع الكتاب وترجمة المؤلف كما علق عليها حواشي تدل على قيمته العلمية وسعة اطلاعه وختمه بفهارس خمسة على الطريقة الحديثة فنشكر الاستاذ الافغاني على هذه التحفة الثمينة والذخيرة التي قدمها لاهل العلم مع تقديرنا لمجهوده

وقال يخاطب الامير الجامع بين العلم والامارة المولى محمد باي ابن الامير الكبير المولى حسين باي ابن علي المتولى سنة ١١٦٩ يستعطفه ويستقيل العثرة ويطلب الافراج عنه من السجن

لمشري بتمام عفوك ما طلب ... ما بعده لي في الاماني من أرب(١)
وأقل شيء من رضاك محصل ... لمؤمل نيل السعادة ما أحب
فاذا ظفرت به فاني آمن ... لا أختشي جور الزمان وان غلب
ولانت أولى أن تعود بنظرة ... في شان من نادى حنانك من كثب
الحلم فيك سجية معروفة ... يا خير من يولي الجميل إذا غلب
انتم شموس هداية وطلوعها ... قد كان حسما للتعسف والشغب
خصصتم أبني حسين بالتي ... يرضى بها رب الشريعة والحسب
الملك أنتم أصله ولكم به ... قدم التقدم والعلي من الرتب
فلذاك أجري أمره بسدادكم ... سهلاً وتمضون العويص بلا تعب
يا من بنى للعفو بيتا لم تزل ... تعلو دعائمه على هام الشهب
هذا مقام معذب بك عائذ ... من هفوة القته في طرق العطب
عظمت ولكن كان عفوك عندها ... عفو النبي عن ذنب كعب اذ رهب
فاسمح بها أمنية عنوانها ... منك التبسم بعد هاذاك الغضب
وامدد إلي يدا أفوز بلثمها ... ويزيل عني جودها هذا النصب
دامت حياتكم وعز جنابكم ... ما نال راجي منكم ما قد طلب (٢)

وله يخاطب الوزير الحاج علي بن عبد العزيز في طلب الشفاعة عند مخدومه المذكور

يا ابن عبد العزيز انت عزيز ... ثابت الود في جميع القلوب
تحمل الكل في المضيق وتحمي ... من يناديك من تعدي الخطوب
واذا ما الزمان اصبح صعبا ... كنت عونا على الزمان الصعيب (٣)

وله مهنئا للامير المولى محمد باي بولادة ابنه الامير الاشهر الافخم المولى محمود باشا ومؤرخا عام ولادته(٤)

طالع السعد بالميامن حيا ... واضح البشر مستنير المحيا
حين قالت لدى الولادة يا بشـ ... ـراي هذا غلام قلنا رضيا
فجرى الفال بابن يعقوب بدءا ... وتناهى بابن النبي زكريا
ذاك محمود الرشيد تجلى ... اثر ما قال رب هب لي وليا
يا اباه محمدا فز بنجل ... لم تكن بالدعاء فيه شقيا
جاء للملك كالمهني ذويه ... بعد ما انتبذوا مكانا قصيا
صانه الله وارثا لابيه ... وابيه موفقا لوذعيا
ولهم قيل عند ما ارخوه ... ووهبنا لكم غلاما زكيا

١١٧٠

(١) وفي رواية من طلب. (٢) وفي رواية (ما اشتاق مضطر لعفو مرتقب). (٣) وقد نجح مطلبه فان الامير اطلقه وتولى بعد ذلك في ولاية الامير علي باي شهادة غابة الزيتون وصلح حاله عنده. (٤) كانت ولادة الامير محمود سنة ١١٧٠ وولايته الملك في اوائل صفر سنة ١٢٣٠ وتوفي سنة ١٢٣٨

وله يرثي الامير محمد باي المذكور رحمه الله ويعزي شقيقه ووارث الملك من بعده صفر الملوك الشبيه بالرشيد المولى علي باي

هل اذكرتك العهد بعد تناسي ... دمن تقادم عهدها بالناس

ان كنت تجحد ما لقيت فانني ... رهن الاسى او كل قلب قاسي

ولئن نسيت الظاعنين وقد مضوا ... يوم النوى فرقا فلست بناسي

هذي المنازل اقفرت من بعدهم ... ولطالما ملئت من الايناس

كانوا الضياء لها ولما ادلجوا ... طلع الظلام لغيبة النبراس

يجد الجماد على العشير كآبة ... غلب المشوق فكيف بالحساس

من مخبري عن سيرهم او سوءهم ... في اي ناحية واي مواس

ومتى يكون اياهم واظنهم ... لا يرجعون لآخر الاحراس

واود لو سمعوا حديثا دار في ... خلدي بخلت به عن الجلاس

ما لي اغالط بالسلو وقلما ... وقف العليل لصكة المقباس

والهم يغلب من يحاول سيره ... حتى يغيبه عن الاحساس

ومن استمال الى الليالي امنا ... ضربت له الاخماس في الاسداس

والحي عرضة كل سهم صائب ... ومصائب الدنيا على اجناس

وانا الذي عاينت من اوجاعها ... فطعمت منها لدغة الدساس

والشيء يخبر عن حقيقة امره ... من ذاقه نصا بغير قياس

وهي الدواهي مرة وامرها ... موت الشقيق الطيب الانفاس

ذهب الامير محمد وكانه ... لم يعل فوق مراتب وكراسي

او انه لم يسم في طلب العلا ... حتى ألان الصعب بعد شماس(١)

من اين ادركه الحمام ودونه ... حرم السلاح وحومة الحراس

أ تغافل البواب ام سبقت له ... قبل الهجوم يد مع العساس

جهل الزمان ولو درى بمقامه ... ما ساقه قسرا الى الارماس

صعب على الايام ان يرى لها ... جبل من الحلم المقدس راسي

قد كان طلاع الثنايا خيرا ... عونا على الازمات خير مواسي

(٢) حردا على الواشين ليس يهزه ... للموبقات مكائد الوسواس

يبكي له الادب القريظ واهله ... وعوامل الاقلام والقرطاس

والسيف ملتفت الى ايضائه ... والخيل تائقة الى الاحلاس (٣)

كادت عرى الاسلام تنقض بعده ... لو لا مقيم الدين بالقسطاس

خير الخلائق صنوه وقسيمه ... وقت الرخاء وضيق حر الباس

ما اخلق الملك العلي عماده ... بعلي الشهم النزيه الباس

ناه عن اتيان المناكر امر ... بالعرف لا ساه ولا نعاس

الملك يعلم انه بعناية ... يمسي ويصبح في اعز لباس

يا من يعز على المعالي ان يرى ... خلقا من الزمن المسيء الجاسي(٤)

---

(١) أي شدة وصعوبة ومنه فرس شماس اذا استعصى على راكبه. (٢) اي كثير الغضب على الواشين من حرد كفهم اي غضب . (٣) الاحلاس جمع حلس وهو كساء يجعل على ظهر الدابة تحت الرحل او السرج . (٤) اسم فاعل من جسا الشيء يجسو اذا يبس وصلب

ما مات من كنت الخليفة بعده ... يحيي الحيا بالاربع الادراس
ان المنايا لا ترق لجازع ... فترد فائته عقيب الياس
فهي التي مردت على حكامها ... من كل ذي قلم وذي قرطاس
فجعت متمما الاسيف بمالك ... ونعت بصخر مرة لخناس
واذاقت النعمان سما ناقعا ... وسقت كُليبا من يدي جساس
وتتابعت في تبع وسطت على ... سيف ابن ذي يزن وذي نواس
وشجت امية في بنيه وعبست ... لاولي النباهة من بني العباس
ولآل اغلب قارعت وترصدت ... لبني عبيد ساعة الالباس
وقضت على لمتونة وتقلبت ... بقبيل عبد المومن الهرماس
ولقي بنو زيان من اوصابها ... وبنو مرين شدة في باس
وهوت باملاك الطوائف بعد ما ... سقط الخلائق في اضا النبراس
ورمت بني حفص بكل رزية ... ذهبت بهم في دامس الافلاس
وهلم جرا لم يصن من كبتها ... حصن السيوف ولا حمى الاتراس
ولانت افضل مذعن لمقالة ... جاءت بها تعزية الاكياس
اصبر نكن بك صابرين فانما ... صبر الرعية عند صبر الراس
خير من العباس اجرك بعده ... والله خير منك للعباس

وله يمتدح المولى علي باي ويذكر مواطنه وما قاساه في طلب تراث ابيه من ملك تونس وظفره بذلك بعد الاهوال الصعاب

يا سعد باسمك فال من يستنطق ... حيا ديارك صيب يتدفق
حدث عن الريم المقيم برامة ... هل غربوا بخيامه ام شرقوا
عهدي بهم نزلوا العذيب وقصدهم ... وادي العقيق وبعد ذاك الابرق
تلك المنازل لم اهم برسومها ... الا لاسمع قولها لو تنطق
والدار يذكرها اللسان معرضا ... والقلب بالسكان منها اعلق
والنفس تخضع للمليح وانما ... يرمي بها اقصى المرام الرونق
ولعارض ابعدت علمي جانبا ... حتى عشقت ولمت من لا يعشق
وذهلت عن قول العواذل ما له ... خلع العذار لبارق يتالق
نظروا كما نظر الخلي مخائلا ... لكنهم لما راوها رنقوا (١)
ونظرت كاليوم المبارك دمية ... ماء البهاء بوجهها يترقرق
تفتر عن كالبرق ابصر ضوأه ... من بات من سخط له يتشوق
ويلوح تحت الجيد من اطواقها ... فجر اذا كذب السماء يصدق
وتميس كالغصن الرطيب يناله ... من جانب (٢) سيل مغدق
تلك التي سارت وقلبي اثرها ... كالباز في اثر الشريد يحلق
لم انس اذ قالت وقد ودعتها ... بان الخليط فقل بمن تتوثق
قلنا علي ابن الحسين ملاذنا ... قالت ظفرت اذا وعز الابلق
ذاك الذي ينسي الغريب بقربه ... اوطانه ويجود منه المملق
ملك لايام الشباب محاسن ... واذا تعد فلهو منها الريق

(١) اي تكدروا . (٢) بياض بالاصل

غلط الزمان به لغير اوانه ... ولرب شيء دون وقت يخلق
حملت به الايام في تعنيها ... واسترضعته وهي عجفا شملق
وبه استعادت ما مضى من عمرها ... وشبابها وكذا العوائد تخرق
اذ قام بالعبء الثقيل لثاره ... والحزم بالشهم المؤيد اوفق
وسعى لرد الملك وهو مصمم ... كالسهم من خيف الرمية يمرق
من بعد ما قذفت به ايدي النوى ... في كل ناحية تروع وتقلق
كالبدر اذ حاز الكمال وسيره ... تدري المغارب كونه والمشرق
ناهيك من اسد اذا حمي الوغى ... وبه يلاذ اذا يراع الفيلق
تلقاه للخطب الجليل مبادرا ... والى النزال بكل فج يسبق
فافاض من بحر الخميس مناهلا ... غصت بها طرق الربى والخيفق(١)
ينحط من بطن الجزائر فيضه ... ويسيح للخضراء وهو المغرق
امواجه الخيل العتاق وانها ... يملا الفضاء صهيلها والهندق
تذري سنابكها على اعطافها ... مثل السحيق يجف منه المهرق
وكانها العقبان تحمل فوقها ... اسد الشرى وبكل طرف تمشق
لم يعيها التاويب في ادلاجها ... كلا ولا قطع الفيافي مخلق
حتى اناخ على طريق مغيرة ... قلنا حديث الفال عنها اصدق
مارد كف (الكاف) صدمته ولا ... منع الردى متريسها والخندق
ودعته تونس بعد فجر خميسها ... والهام في كل الجهات تفلق
فتعانقا اذ ذاك من فرط الهوى ... وكذا المشوق اذا رآه الشيق
وكذلك الاخطار يدركها الذي ... يلج المضيق وفي العزيمة يصدق
فخر به حازته تونس وحدها ... لم تلقه دار السلام وجلق
يايها الملك الذي نظر السنا ... في وجهه الاسنى فقال موفق
ما لي احاول شربة من عفوكم ... فأذاد وهو على الورى يتدفق
ان كان لي الذنب العظيم فحلمكم ... يبلى به ذاك العظيم ويمحق
قالت قتيلة للرسول وربما ... من الفتى وهو المغيظ المحنق
هذي حرائر خاطري وجهتها ... خدما لعز مقامكم لا تعتق
جاءتكم تمشي على استحيائها ... ولكم بكل عبارة تتملق
ومدائحي كالدر موضع حسنه ... عند المليحة راسها والمخنق
يبلى الزمان وخلقها متجدد ... يروي الغبي حديثها والاشدق
فانظر لها نظر الشفيق واولها ... خلق الكريم فان مثلك يشفق
واسلم بحالة غبطة حتى ترى ... ولد البتول وانت حي ترزق

وله فيه ايضا رحمهما الله تعالى

حيا فحن له الفؤاد المدنف ... طيف الم بمن له يتشوف
لا يا تخلص كالشفاء ودونه ... ظن يسيء به ووعد يخلف
واقل ما استقالت وقفة زائر ... خاف العيون وضاق عنه الموقف
واقل منها وكنت جلدا قبلها ... صبري وقد ولى الخيال المشرف
ما ذا لقيت من الزمان يروعني ... بالحيف حتى في المنام يخوف

(١) الخيفق الفلاة الواسعة

من كل وجه لي عليه ملامة ... وله علي غضاضة وتكلف
أفلا كفى ان عشت فيه وقالي ... واه وقلبي بالدواهي يقصف
يرد المياه بنوه لا عن غلة ... وأحوم من فرط الغليل فاصرف
هين عليهم لو قذفت بهمتي ... وسعيت ما بين الملا اتكفف
والموت اسعد وهي بغية كلهم ... لي من وقوفي بينهم استعطف
فاذا قرمت اكلت لحم انامل ... واذا عطشت فمن دمي اترشف
وتنوب عن خطب الوفود دفاتري ... اذ حيلتي عن غير ذلك تضعف
عجبا لايام تجور الم يكن ... فيها علي بن الحسين المنصف
حرم الامان لمن اراد حماية ... ولذي الخصاصة بالسحاب الاوطف
ملء القلوب اذا بدا متبسما ... وذكاؤه مثل الزمان ونيف
كم نحتمي في القول عند مديحه ... من قولة عند التامل تكشف
حتى اذا نظر المديح بدا له ... بده الهوى ذاك الكثيف (١)
فنعود من ءادابه بفوائد ... وبمثلها اخرى عليها تعطف
وعلا بهمته الكريمة ان يرى ... في غير طاعة ربه يتصرف
وكفاه عن سمع الملاهي درسه ... قول النبي وورده والمصحف
وتفقه في الدين ثمة فصله ... لحكومة عنها الشريعة تكشف
وافاضة للعالم بين طوائف ... تاتي واخرى بالجوائز تصرف
والذ ما يسديه منها عنده ... نيل يعان به الفقيه ويتحف
ومضت كذا عفوا جميع فعاله ... لا راجع عنها ولا متكلف
ودعى بقفصة فاستجاب معينها ... عقب الدعا وهو الابي المتعسف
وجرى يخرق كل بطن قرارة ... عرضت له والكل صلد يثقف
واطاعت الانجاد فيه وهادها ... وتماثلت اوعارها والصفصف
فتراه كالثعبان في حركاته ... سهل الممر على البسيطة يزحف
حتى لوى بشعاب تونس راسه ... ومشى على ارجائها يتطوف
وانحل عن عذب الزلال ولاؤه ... فاذا به في كل ربع يقذف
فغدت به الاكباد بعد اوارها ... ريا وصح سمينها والاعجف
وراته اعظم منة اذ جاءها ... والنجم في وقت الاغاثة مخلف
لا زال يظهر كل حين غرة ... يفنى الزمان ونورها لا يكسف

وله فيه ايضا

اقصر والتطويل في الشكر واجب ... لمن فضله في كل ما شئت غالب
واهدي اللبيس (٢) الناقص القدر للذي ... عن النقص في كل المشاهد غائب
اذا لم يكن فيما مضى لي والد ... ولا لي في الآتي من الدهر صاحب
تنادي مزايا ابن الحسين الا انهضوا ... بواجب اطراءي واين المجاوب
كان بني الاشعار صموا عن الندا ... بلى فاتهم في ذاك طبع مناسب
فواعجبا منها ومني ومنهم ... وفي كل قول للفهوم مسارب
اما انها عين حسان تبرجت ... وليس لها عن عين مرءاه حاجب

---

(١) بياض بالاصل . (٢) اللبيس هو الثوب قد كثر لبسه حتى صار خلقا

كاني انا وحدي رايت عيونها ... تغامزن لي والغمز للصب جالب
اطلت وايام المكارم عنست ... على حين شاخ الدهر فهي الغرائب
فاصبحت الايام في عنفوانها ... وقام لها من مقعد العز طارب
فلا خير الا وهو كالعدل لازب ... ولا شر الا وهو كالظلم عازب
فهذي طريق الحمد فيه توضحت ... لمن هو في شكر المزية راغب
وإن ألسن الاقوال كلت فانما ... على ألسن الاحوال منه الضرائب
فاغناه فيض الجود عن كل مصقع ... وفي كل صقع من اياديه جانب
واجلال اهل العلم طرا لاجله ... وايثارهم حتى يغار الاقارب
ودقة فهم للعويصة رامها ... اخو فطنة اولج فيها المشاغب
ومعرفة الفضل الحقيق لاهله ... واكرام من يدنو له او يجانب
وانصافه من نفسه غير ساخط ... ولا منكر ان جاء للحق طالب
ونصرة ملهوف واحسان عشرة ... وكظم لغيظ حين يجفو المغاضب
وجبر كسير القلب باتت همومه ... تغالبه عن نومه ويغالب
وحفظ لذكر الله عن وصم فترة ... واصدق ما في الذكر ما هو دائب
ورعي جناب الله في كل حالة ... يلاحظها منه التقي المراقب
فيايها المولى الذي يقضاتنا ... بدولته حلم وحاشاك كاذب
لك الله من قطب تدور باوجه ... مشارق امداح الورى والمغارب
لما انك استوجبتها بشمائل ... يسلمها الراضي ومن هو غاضب
دفعت بها في صدر كل مملك ... يرى انه فوق السهى او يقارب
فمرت على اسماعه فيك مدحة ... تقبض منها جيده والعراقب
فما وسعته الارض حتى اراحه ... عن الفكر في استعلام شانك نايب
فوجه مرتادا يخلف اهله ... على رغبة في رجعه وهو راهب
فجاء ومن قدامه الامن قائد ... ومن خلفه حبل المهابة جاذب
وعاين ما بين السماطين برزخا ... تدب به رجلاه والراس راسب
وقد حسدت عيناه رجليه ان سعت ... ببهو تود السعي فيه الشواقب
وما شغلته الدار تلعب بالنهى ... عن الفكر في تزوير قول يناسب
ولما افتتحت القول طيرت سحره ... وضاقت عليه في الخلاص المذاهب
وشاهد ما لم ينخرط في حسابه ... واسمع ما لم تنتخبه الاعارب
وولى على الاعقاب تصغر نفسه ... ومخدومه والمنتمي والمصاحب
وانذر مولاه بان وراءه ... تمام جلال هذبته التجارب
وان ملوك الارض قسمان بعده ... فذو الهزل ممقوت وذو الجد تاعب
فهذا حديثي عنه اسندت بعضه ... وعش لترى الباقي عدتك النوائب
ولست براض من مديحك بالذي ... يباهتني فيه اذا غبت عاتب
وهل لي اعتذار في انتحالي ناقصا ... ومادح ذي زيد بناقص عائب
على ان من اهدى لغيرك مدحة ... على قدر ما اسدى له العذر واجب
كعذر نصيب اذ تبجح للذي ... قضاه نصيبا ضمه وهو راكب
فقال ولو لاقاك يا بحر لم يقل ... وقد افعمت دنياه منك المناقب
فعاجوا واثنوا بالذي انت اهله ... ولو سكتوا اثنت عليك الحقائب

الاشتراك

الادارة نهج الباشا رقم ٣٣ — تونس

عن سنة بالحاضرة وبلدان المملكة والجزائر والمغرب الاقصى وسوريا فرنكات ٣٠

« في الخارج غير البلاد المذكورة فرنكات ٤٠

يخصم الربع للتلامذة

وصولات الاشتراك لا تعتبر الا اذا كانت ممضاة من امين المال

محمد الهادي بن القاضي

والمخابرات المالية لا تكون الا معه